

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	شعبان المعظم ١٤٣٢ ھ
العدد السابع	يوليو ٢٠١١ م

المشـرف العام — **عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صــوت الأمـــة** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

المملكة العربية السعودية ورعايتها للعلماء المسلمين في الداخل والخارج

(٥) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

(د) منحهم عضوية الجامعات والمؤسسات السعودية:

فمن مظاهر رعاية المملكة لعلماء المسلمين في الخارج أنها تعينهم أعضاء في جامعاتها ومؤسساتها، وتسند إليهم مهمة النهوض بمستواها التعليمي والتربوي، وتوجه إليهم الدعوة بين حين وآخر للحضور في اجتماعاتها، وتوفر لهم كافة التسهيلات في سفرهم وإقامتهم.

فهذه هي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ينص نظامها على أن مجلسها الأعلى يضم في عضويته ثلاثة عشر نفرا من كبار العلماء وقادة الفكر الإسلامي ومديري الجامعات وأساتذتها أو ممن سبق لهم شغل هذه المناصب، ويراعى في اختيارهم تنوع الاختصاص، وأن يكون من بينهم عشرة أعضاء من خارج المملكة، يمثلون مختلف المناطق الإسلامية.[١]

وهذه هي رابطة العالم الإسلامي يتم اختيار أعضاء المجلس التأسيسي فيها على أساس ترشيح من أمينها العام، ويشترط أن يكون العضو من العلماء أو ممن كانت لهم خبرة واسعة ونشاط ملحوظ في خدمة الدعوة الإسلامية في بلده أو غيرها من البلاد، سواء كان ذلك بما أنتجه من آثار علمية أفادت الناس أو بما اضطلع به من مجهود في سبيل نشر الإسلام والدعوة إليه.[٢]

(هـ) دعوتهم للمشاركة في المؤتمرات والندوات ...:

تعقد الجهات المختلفة في المملكة مؤتمرات وندوات ومهرجانات بين حين وآخر، للبحث في القضايا العلمية والدعوية والتربوية والاجتماعية وما إلى ذلك، وتوجه الدعوة للمشاركة في هذه الاجتماعات إلى كبار علماء الإسلام في العالم.

وكذلك توجه الدعوة إلى علماء العالم للتحكيم في المسابقات التي تعقدها بعض المؤسسات والمنظمات في المملكة.

وتوجه الدعوة أيضا إلى علماء العالم لتوعية الحجاج أيام الحج، إلى غير ذلك من المناسبات التي يجتمع فيها النخبة من العلماء من مختلف بلدان العالم باستضافة من الهيئات

[١] انظر: دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لعام ١٣٩٩-١٤٠٠هـ، ص: ١٥-١٦.

[٢] انظر: رابطة العالم الإسلامي في ٢٥ عاما: إنجازات وتطلعات، ص: ٢١.

والمؤسسات السعودية. وتتحمل الجهات المعنية كافة مصاريف سفرهم، وتوفر لهم كل وسائل الراحة أيام إقامتهم بالمملكة، وتحصل لهم فرصة أداء مناسك الحج والعمرة في معظم الأسفار بتسهيلات من الجهة المستضيفة.

وهنا نذكر ذلك المؤتمر العالمي الأول الذي كان قد عقده الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود باسم "مؤتمر الحجاز"، وذلك بعد أن تمت له السيطرة على أرض الحجاز، فوجه الدعوة إلى العلماء البارزين وقادة الفكر الإسلامي في العالم، فحضروا في حج عام ١٣٤٤هـ وناقشوا القضايا المدرجة على جدول الأعمال، وقاموا بأداء

فريضة الحج، وأكرموا من قبل الملك ورجاله المخلصين إكراما بالغا لم يكن في حسبانهم، كما سجلوا في انطباعاتهم بعد العودة من المؤتمر إلى أوطانهم في مجلاتهم وجرائدهم.[1]

واصل قادة البلاد هذه المسيرة بعد الملك المؤسس وعقدوا ولايزالون يعقدون اجتماعات علماء العالم لدراسة الأوضاع المتعلقة بالمسلمين وما بنبغي اتخاذه من المواقف والقرارات تجاهها.

وهذا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز -حفظه الله- رعى بعد توليه قيادة البلاد عدة مؤتمرات للعلماء والمثقفين من أنحاء العالم، منها المنتدى التحضيري للعلماء والمفكرين المسلمين، الذي عقد استجابة لدعوته في مكة المكرمة من ٥ إلى ٧ شعبان ١٤٢٦هـ = ٩-١١ ستبمبر ٢٠٠٥م.[2]

ومنها الملتقى العالمي الأول للعلماء المسلمين حول وحدة الأمة الإسلامية، الذي عقد في رابطة العالم الإسلامي برعاية الملك المفدى في ٣-٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ = ١-٣ أبريل ٢٠٠٦م.[3]

ومنها المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار- المنعقد برعاية الملك المفدى أيضا في مكة المكرمة في ٣٠/٥-٢/٦/١٤٢٩هـ = ٤-٦/٦/٢٠٠٨م.[4]

(و) ترحيب قادة المملكة بعلماء العالم في قصورهم ومجالسهم:

سبق أن ذكرنا أن الولاة في المملكة يحبون استقبال علمائهم ومجالستهم والاستماع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم، وهذا مظهر من مظاهر اهتمامهم ورعايتهم لعلماءهم، ومن مظاهر

---

[1] يمكن الاطلاع على انطباعات الوفود الهندية المشاركة في المؤتمر في جريدة "أهل الحديث" أمرتسر الأسبوعية، لمديرها الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري في أعداد شهر ذي الحجة وما بعدها من عام ٤٥-١٣٤٤هـ.

[2] انظر مجلة صوت الأمة، بنارس: ذو القعدة ١٤٢٨هـ ص:٣-١٩.

[3] انظر مجلة صوت الأمة، بنارس: ربيع الأول ١٤٢٧هـ ص:٥٢-٥٩.

[4] انظر مجلة صوت الأمة، بنارس: شعبان ١٤٢٩هـ ص:٣٤-٥٣.

اهتمامهم بعلماء العالم أنهم يرحبون بهم في اجتماعاتهم ومجالسهم، ويستمعون إلى كلماتهم، ويستفسرونهم عن أحوال المسلمين وعن سير الدعوة في بلادهم. وهنا أكتفى بإيراد مثال واحد من الأمثلة المتعددة لترحيب وفد الجامعة السلفية ببنارس، الهند:

قام فضيلة الشيخ عبدالوحيد عبدالحق السلفي، أمين عام الجامعة السلفية (م سنة ١٩٨٩م)، وفضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي نائب رئيس الجامعة (م سنة ٢٠٠٧م) بزيارة المملكة العربية السعودية في موسم حج ١٣٩٤ه، وتشرف هذا الوفد خلال هذه الزيارة بالاجتماع مع الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمهما الله تعالى، وكانت هذه المقابلة قد استمرت أكثر من نصف ساعة، تحدث فيها فضيلة نائب الرئيس و فضيلة الأمين العام عن سير الجامعة وعن التقدم الذي أحرزته في المجال الدراسي والبنائي وفي مجال التوجيه العام، وكان الملك فيصل رحمه الله قد أبدى اطمئنانه بسير الجامعة وثقته بالمسؤلين، وأمله عن مستقبل مزدهر للجامعة، وتكرم بتشجيع الوفد فقال: "إن المملكة ستستمر في دعمها للجامعة، وتقوم بجميع ما يساعد في نهضتها وتطويرها حتى تتمكن من أداء رسالتها نحو الأمة الإسلامية في الهند..."[١]

هذه هي بعض أهم مظاهر رعاية المملكة العربية السعودية لعلماء المسلمين في الخارج باستقدامهم إلى أرض المملكة وتكريمهم.

أما رعايتها لهم وهم في بلادهم فمن مظاهرها الكثيرة:

(أ) تفريغهم للأعمال العلمية والدعوية والاجتماعية:

المملكة أرض الحرمين الشريفين ومولد الرسول ومهبط الوحي و منطلق الرسالة، وفيها الكعبة المشرفة التي يتجه إليها المسلمون في صلواتهم وعباداتهم الأخرى، وهي من الدول القلائل التي تطبق شرع الله، إلى غير ذلك من الميزات التي ترفع مكانتها ومكانة قادتها في نظر كل مسلم، وتفرض عليها الرعاية الدينية لمسلمي العالم، وقد قامت المملكة -بتوفيق من الله- بأداء دورها المنشود في قيادة مسلمي العالم مند تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن رحمهما الله، ومن أعمالها البارزة في هذا المجال تنشيط العمل التعلمي والاجتماعي و الدعوي لدى مسلمي العالم، وذلك بوسائل وأساليب شتى، من أهمها تفريغ العلماء وتعيينهم للقيام بالتدريس والدعوة بين المسلمين ولتوعيتهم في أمور دينهم، ومحو الأمية من بينهم.

[١] مجلة صوت الجامعة (الصادرة من الجامعة السلفية بنارس، الهند) جمادي الأولى ١٣٩٥ه ص: ٧٣-٧٤.

"وكان الملك فيصل أول من اعتمد (٥٠) وظيفة داعية في أفريقية عام ١٣٨٦هـ =١٩٦٦م تدفع المملكة رواتبهم، كما اعتمد (١٠٠) منحة دراسية إضافة إلى الخمسين وظيفة السابقة، وقد تم إرسال الشيخ محمد بن ناصر العبودي إلى إفريقية، وكان مما قاله الملك فيصل له:

"اذهبوا إلى هناك، وإن وجدتم دعاة تعينونهم، وعينوا أماكنهم، وإذا لم تجدوا، عندما تعودون يرسلون من المملكة وكذلك المنح الدراسية – اقبلوا الطلاب من أفريقية...."[1]

وقد جاء في أحد التقارير "أن النفقات المالية السنوية التي قدمتها المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله قد بلغت أكثر من (١٢٢) مليون ريال لتمويل إيفاد الدعاة والمدرسين إلى مختلف قارات العالم.".[2]

"وقد بلغ عدد المدرسين والدعاة التابعين لرابطة العالم الإسلامي (١٢١٠) في عام ١٤٢٢هـ موزعين على (١٠٦) دولة، أما عدد الدعاة التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في الخارج فقد وصل إلى (٢٠٠٠) داعية، موزعين على (٩٠) دولة في مختلف أنحاء العالم."[3]

(ب) إمدادهم بالكتب والمراجع والجرائد والأشرطة:

تقوم المملكة متمثلة في وزاراتها ومؤسساتها بتوفير الكتب للعلماء والدعاة ورجال الفكر في أنحاء العالم، وكذلك للجمعيات والمنظمات والمراكز الإسلامية والمعاهد والمدارس والمساجد، والشخصيات والهيئات الدولية والعلمية والحكومية وغيرها.

وتكون هذه الكتب متنوعة من حيث الموضوع، فتشمل التفسير والحديث والعقيدة والفقه والفتاوى والتاريخ واللغة والأدب والقضايا المعاصرة، إلى غير ذلك من العلوم.

وتمتاز بأنها تكون مطبوعة وفق أحدث مواصفات الطبع والإخراج والتجليد، محققة، مخرجة، مفهرسة حسب المعايير العلمية الحديثة، لاعهد لعامة المشتغلين بالعلم والدعوة في أنحاء العالم بالكتب الممتازة بهذه الميزات، فلأجل تخلف دولهم التي ينتمون إليها كانت حركة الطبع عندهم بطيئة جدا، وكانت المطابع تكتفي بطبع المصاحف وبعض الكتب الدراسية على الطريقة القديمة، عارية عن كل الصفات المذكورة.

وأهم امتيازات الكتب الموفرة من المملكة على الإطلاق هي سلامة محتواها من الانحراف العقدي والفكري، واشتمالها على تعليم الإسلام الصافي النقي، من هنا كان دورها

---

[1] فيصل بن عبد العزيز آل سعود وجهوده في القضايا العربية والإسلامية، للدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سليمان الحصين، ص:٢٨٩

[2] مجلة الرابطة: العدد: ٤٧٠، رجب ١٤٢٦هـ ص: ٤٦.

[3] مجلة الرابطة: العدد: ٤٧٠، رجب ١٤٢٦هـ ص: ٤٦.

الرائد-بتوفيق من الله-في إصلاح العقائد، وتصحيح المفاهيم، وتفنيد المزاعم، والرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة وسلف الأمة.

وكذلك الأمر بالنسبة للجرائد والمجلات والأشرطة المسموعة والمرئية، وأخيرا الأشرطة الممغنطة (C.D.) المحتوية على خزائن العلم والمعرفة، كلها تصل عن دولة التوحيد إلى أيدي أهل العلم في مشارق الأرض ومغاربها، إما على طلب منهم، وإما مباشرة من غير طلب. ولا يكلفون بصرف القليل ولا الكثير من المبالغ في سبيل الحصول على هذه الهدايا القيمة. وبهذه الطريق تكونت لدى الكثير منهم مكتبة لا بأس بها تسهل عليهم إنجاز الأعمال العلمية والدعوية، وتوفر عليهم كثيرا من الوقت والجهد، ولله الحمد.

يقول الدكتور مقتدى حسن الأزهري:

"إن المملكة المحروسة كما وفرت للمسلمين في العالم نسخ المصاحف بالترجمة وبدونها، فكذلك وقفت موقفا مشرفا من توزيع الكتب الإسلامية النافعة بمختلف اللغات على العلماء والطلاب وعامة الناس بالهند. وهذا المعروف الجليل فوق جميع المعونات والمساعدات المادية، لأنه يقوم بتغذية الروح وتربية العقل وتنشئة الجيل الجديد على الأسس الإسلامية السليمة، ويعد الإنسان المسلم لمواجهة التحديات المعاصرة المتنوعة، ولأداء رسالة الإسلام الهادفة في هذا العصر الراقي الذي يدعي التقدم والتنور، ولإبراز محاسن الشريعة الإسلامية وتفوقها على جميع ما عرفه الناس إلى الآن باسم التشريع والقانون. وتقدير هذه الهدية القيمة يتوقف على أن نعرف الكتب الموزعة على المشتغلين بالعلم، إنها كتب قيمة ومصادر أساسية في علوم العقيدة والتفسير والحديث والمصطلح والفقه والتاريخ والسير والتراجم وما إلى ذلك من العلوم والفنون..."[١]

ويقول بعد ذكر وضع المجلات والجرائد الهندية:

"في هذا الجو المظلم والوضع المؤسف ننظر إلى الجرائد والمجلات التي تصل من المملكة إلى المدارس الإسلامية بالهند، وتسد الفراغ الناشئ من انعدام الصحافة الإسلامية المحلية ومن تكاسل رجالها المسلمين. وفوائد هذه الصحافة في مجال الدعوة والعلم كثيرة متنوعة.."

"...وهذه الفوائد وأمثالها لم تكن لتتحقق إلا إذا وصلت هذه الجرائد والمجلات إلى علماء اللغة العربية وطلابها في المدارس الإسلامية بالهند. وقد تيسر ذلك بعظم الخلق وكرم النحيزة وعلو الهمة الذي اتصف به القائمون على الحكم في المملكة العربية السعودية،

---

[١] مجلة صوت الأمة، بنارس: ذو الحجة-محرم ٢٠-١٤١٩هـ ص: ٩٩.

وبعواطف التناصح والتعاون التي تتوفر في المسئولين عن شؤون التعليم والدعوة فيها، فإنهم ينشطون في تعميم الخير للناس، ويؤدون المسئولية بالأمانة والإخلاص."[1]

وتشير الإحصائيات أنه خلال الفترة الميمونة من عهد الملك فهد يرحمه الله (١٤٠٢هـ-١٤٢٢هـ) تم إرسال أكثر من ستة ملايين وخمس مائة ألف نسخة من الكتب الدينية والعربية وكتب الدراسة لجميع المراحل.[2]

(ج) فتح المجال أمامهم للمنافسة في إنجاز الأعمال العلمية:

تعلن الجهات المختلفة في المملكة بين حين وآخر عن إقامة مسابقات علمية عالمية، وتدعو العلماء والباحثين في أنحاء العالم للمشاركة فيها بكتاباتهم وبحوثهم، وتخصص هذه الجهات جوائز نقدية وعينية قيمة جدا للفائزين على وجه الخصوص، ولبقية المشاركين على وجه العموم، ويكون تكريم الفائزين-في معظم الأحيان-باستقدامهم إلى أرض المملكة، وفي حفلات يشرفها بحضورهم كبار علماء المملكة وكبار مسؤولي الدولة.

وإلى جانب هذه المسابقات هناك جوائز عالمية أنشئت في المملكة العربية السعودية لتشجيع العلماء والباحثين على مستوى العالم، مثل جائزة الملك فيصل العالمية، وجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز للسنة النبوية، وغيرها، كلها مظاهر حية لقيام المملكة المحروسة إلى جانب علماء العالم وإحاطتها بهم بالعناية والاهتمام.

(د) إرسال الوفود إلى علماء العالم وإقامة الملتقيات والندوات والدورات معهم:

هناك جامعات ومؤسسات بالمملكة العربية السعودية تشكل-بين حين وآخر-وفودا من علماء المملكة ومثقفيها لزيارة المدارس والجامعات والمراكز الإسلامية في العالم،واللقاء بمسؤوليها والعلماء والمشايخ.وفي هذه الرحلات تعقد وفود المملكة اجتماعات وندوات يشارك فيها علماء تلك البلاد، فيستفيدون ويفيدون، وينفتح أمامهم آفاق جديدة في مجال العلم والتعليم والتربية والدعوة وما إلى ذلك.

وقد تعقد بعض الجهات السعودية دورات تدريبية وملتقيات ثقافية في مختلف دول العالم لمدة شهر أو أقل أو أكثر يجتمع فيها العاملون في مجالات التعليم والدعوة، ويتبادلون الآراء والخبرات مع مشايخ المملكة، ويستفيدون من معارفهم وخبراتهم. وكل هذه الوفود والبعثات ترفع من معنوية هؤلاء العلماء بإشعارهم بأن هناك دولة تشارك هي ورجالها في همومهم، وتسهر على مصالح الأمة الإسلامية، وتقدر علماء المسلمين أينما كانوا، وتشجعهم

---

[1] مجلة صوت الأمة، بنارس: ذو الحجة-محرم٢٠-١٤١٩هـ ص:١٠٤.

[2] مجلة الرابطة: العدد:٤٧٠، رجب ١٤٢٦هـ ص:٤٦.

على المضي قدما في ميدان العلم والدعوة والإرشاد. ويدخل في هذا الباب مشاركة مشايخ السعودية في المؤتمرات والندوات في أنحاء العالم على دعوة من منظميها، حيث تتوالى إلى علماء المملكة ومؤسساتها دعوات من أنحاء العالم للمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا وهناك, فتقع هذه الدعوات موقع القبول لدى المدعووين، ويسافرون للمشاركة في تلك الحفلات بمصاريف تتحملها في الغالب المؤسسات التي ينتمون إليها في المملكة، وبالإضافة إلى مصاريف السفر والإقامة قد تمد الجهاتُ الموفدةُ الجهاتِ المنظمة للمؤتمرات بتبرعات سخية تخفف من الأعباء المالية لتلك الجهات. ولنقرأ التقرير التالي المنشور في أحد أعداد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

"تلبية للدعوة التي تلقتها الجامعة من (ندوة العلماء) في الهند لحضور المهرجان التعليمي الأول...توجه وفد من الجامعة برئاسة الشيخ أبي بكر الجزائري المدرس في كلية الشريعة، وعضوية فضيلة الشيخ حماد الأنصاري المدرس بكلية الشريعة، وف عبد الرحيم المدرس بالمعهد الثانوي التابع للجامعة, يوم الجمعة ١٩/١٠/١٣٩٥هـ لحضور هذا المهرجان بمدينة لكهنو في الهند.

وقد اشترك الوفد في أعمال المهرجان ولجانه وقدم بحثا في موضوع "التربية الإسلامية في عصرنا الحاضر" كان موضع تقدير المؤتمرين من رجال التربية والتعليم.

كما قدم تبرعا من الجامعة الإسلامية لندوة العلماء (٥٠ألف ريال سعودي) وزار الوفد بعض المدن الهندية لرغبات الإخوة المسلمين في هذه المدن، كما زار الجامعة السلفية ببنارس، التي تزودها الجامعة الإسلامية ببعض المدرسين، واشترك في وضع الحجر الأساسي لمسجد هذه الجامعة، وزار مكتبة (خدابخش) الشهيرة.

والتقى خلال زيارته ببعض خريجي الجامعة الإسلامية في الهند، وتابع نشاطهم في مجال الدعوة، وألقى خلال هذه الزيارات واللقاءات بعض الدروس والمحاضرات...".[١]

(هـ) إنشاء وحدة شؤون الخريجين وتطويرها إلى عمادة شؤون الخريجين بالجامعة الإسلامية:

العلماء الذين تلقوا العلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منتشرون في شتى بقاع العالم، قائمون بأداء وظائفهم التعليمية والتربوية والدعوية، جهودهم بارزة، ونجاحهم -بحمد الله- ملموس، والجامعة تضعهم موضع العناية والاهتمام، وقد قامت بمتابعة أعمالهم

[١] مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد الثالث، السنة الثامنة، ذو الحجة ١٣٩٥هـ ديسمبر ١٩٧٥، ص: ١٤٦.

ونشاطاتهم بوسائل وطرق مختلفة، ثم أنشأت لهذا الغرض وحدة خاصة في عمادة خدمة المجتمع، تطورت إلى عمادة شؤون الخريجين. من أهم أهدافها:

"...التواصل مع الخريجين، وتقديم الخدمات الممكنة لهم، والتعرف على أنشطتهم العلمية والدعوية، وتلبية طلباتهم قدر الإمكان، والإسهام في رفع المعوقات التي تواجههم بعد التخرج، كما تسعى إلى تعميق روابط الأخوة الإسلامية، وتأصيل مفهوم العمل الجماعي بين الأبناء الخريجين يعود على الجميع بالنفع والفائدة." [١]

تبذل العمادة المذكورة ممثلة في عميدها المحترم ووكيلها الموقر وبقية مسؤوليها المكرمين جهودا مشكورة في لم شتات العلماء الخريجين ومتابعة سير أعمالهم وخدماتهم، وتقوم بتوجيههم وإرشادهم نحو أداء أفضل لمسؤولياتهم وواجباتهم، وفي شهر مارس الماضي (٢٠٠٩م) تفضل فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز مبروك الأحمدي، عميد شؤون الخريجين، وفضيلة الشيخ الدكتور عبد الله مساعد الزهراني وكيل شؤون الخريجين، مع وفد موقر من أساتذة الجامعة الإسلامية بالحضور في الملتقى الثالث لجميعة خريجي الجامعات السعودية في الهند ونيبال، الذي عقد في العاصمة الهندية نيو دلهي، اجتمع هؤلاء الأفاضل مع خريجي الجامعة من البلدين، واستمعوا إلى كلماتهم وأوراق عملهم، وألقوا عليهم محاضرات ودروسا، وأتحفوهم بكتب علمية قيمة، وشجعوهم على مواصلة الجهد، والاستمرار في البذل والعطاء.[٢]

بهذه الوسائل والأساليب، وبهذه الأشكال والطرق، وبغيرها، ترعى المملكة العربية السعودية علماء المسلمين من أنحاء العالم، وتحيطهم بعنايتها واهتمامها، وهي بذلك كله لا تبتغي إلا وجه الله عز وجل، وإنزال علماء الإسلام منزلتهم التي أنزلهم إياها الشريعة الإسلامية، وتفاصيل هذه الرعاية ممتعة معجبة باعثة على الحيرة والاستعجاب، دالة على سمو تفكير المسؤولين، وعلى غاية حبهم للدين والعلم والعمل، وسرد هذه التفاصيل لا يتحمله صفحات هذا البحث المحدودة. فاكتفاء بهذا القدر ننتقل إلى الجزء الآخر من هذا الجانب الشيق الطريف، وهو: رعاية المملكة لعلماء شبه القارة الهندية -على وجه الخصوص- ومظاهرها.

(يتبع)

***

[١] من رسالة موجهة من فضيلة عميد خدمة المجتمع بالجامعة الإسلامية إلى كاتب السطور وغيره من الخريجين في ١٤٢٧/٨/٢٥هـ، و١٤٣٠/٣/٢٩هـ.

[٢] لتقرير الملتقى المذكور ينظر: مجلة صوت الأمة، ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، ص: ٥٧-٥٩.

أعلام الإسلام

رجال صدقوا: عبد الله بن جعفر

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يعتبر من صغار الصحابة، إذ كانت ولادته بأرض الحبشة العام الأول، لأن أبويه -رضي الله عنهما- قد هاجرا إليها، فوُلِدَ هناك، وهو أول مولود ولد في الإسلام، بأرض الحبشة، كما أن عبد الله بن الزبير هو أول مولود ولد في الإسلام بدار الهجرة، بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكانت ولادتهما في سنة واحدة، كما أنهما جاءا سويا وهما ابنا سبع سنين لمبايعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما رآهما تبسم وبسط يده وبايعهما، كما حكاه ابن عساكر.

وجاء في نسب قريش عن مصعب الزبيري قال: هاجر جعفر إلى الحبشة فولدت أسماء بنت عميس عبد الله وعونا ومحمدا.

وقال ابن الأثير: قدم عبد الله مع أبيه المدينة، وهو أخ محمد بن أبي بكر الصديق ويحيى بن علي بن أبي طالب لأمهما.

أما الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء فقال: السيد العالم أبو جعفر القرشي الهاشمي، الحبشي المولد المدني الدار، الجواد بن الجواد ذو الجناحين، عبد الله بن جعفر له صحبة ورواية، عِدادُه في صغار الصحابة، استُشهد أبوه في يوم مؤتة، فكفله النبي صلى الله عليه وسلم، ونشأ في حجره، وروى أيضا عن عمه علي، وعن أمه أسماء بنت عميس، وحدّث عنه أولاده إسماعيل وإسحاق ومعاوية، وأبو جعفر الباقر، وسعد بن إبراهيم، والقاسم بن محمد، وابن أبي مُلَيكة، والشعبي وعروة وعباس بن سهل بن سعد، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وآخرون.

وهو آخر من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه من بني هاشم، وله وفادة على معاوية، وعلى عبد الملك، وكان كبير الشأن، وكان يقول: أحب ما استتر به رسول الله لحاجته، هدف أو حائش نخل - يعني حائطا - فدخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جرجر وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح رأسه إلى سنامه وذفريه فسكن، فقال: من رب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار وقال:

هو لي يا رسول الله، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة، التي ملّكك الله إياها، فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه، أي تكدّه وتتعبه.

وفي خبر نَعْي جعفر رضي الله عنه: روى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه حديثا هو منهج يتخذه أهل السنة والجماعة في الجنائز، بعيدا عما يحاول دسّه من يريد بتعاليم الإسلام تغييرا، وبهديه صلى الله عليه وسلم بُعدا، وبالأمم المناوئة للإسلام في عاداتها وعقائدها تقليدا.. قال عبدالله: لما جاء نعي جعفر قال النبي عليه الصلاة والسلام: "اصنعوا لآل جعفر طعاما، فإنهم قد جاءهم ما يشغلهم".

وبعد ما كبُر قد تحقق فيض المال بين يديه ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له، فزان هذا المال جودا وكرما وحلما، حتى أنه كان سعى في بِرّه وكرمه بأعمال كثيرة، لا تحصى. قال الذهبي بعدما أورد نماذج من كرمه، وجزالة عطائه: ولعبد الله بن جعفر أخبار في الجود والبذل، وكان وافر الحشمة، كثير التنعم، وممن يستمع الغناء، وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل عام ثمانين، وقيل أربع أو خمس وثمانين، وقيل سنة ٨٤، وأكدّ هذا أبو عبيدة، وقيل عام ٩٠، وتبعا لذلك حصل الاختلاف في عمره.

وقد وردت له مسائل فقهية، يحرص فيها رضي الله عنه على أن يستجيب للحكم الشرعي، ففي شروط السلامة يرى أكثر الفقهاء أن البائع كريما جوادا يصل للإمامة، وقد وفد على يزيد فأمر له بألف ألف درهم، أعني عبد الله بن جعفر.

وبعد مقتل الزبير جاء إليه ابنه عبد الله، وقال يا عبد الله بن جعفر إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف ألف درهم، فقال: هو صادق فاقبضها إذا شئت؟ ثم لقيه فقال له يا أبا جعفر لقد وهِمت، المال لك عليه، وليس له عليك، قال: هو له. قال: لا أريد ذلك، قال: فاختر إذا شئت فهو له، وإن كرهت ذلك فبعني من مال أبيك ما شئت. قال: أبيعك وأقوّم. فأعطاه أشياء وأرضا في مرتفع، فقال عبد الله بن جعفر لغلامه ألقي لي في هذا الموضع لأصلي، فألقى له في أغلظ موقع من تلك المواقع مصلاه فصلى ركعتين، فلما سجد أطال السجود يدعو، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه احفر في موضع سجودي، فحفر فإذا عين تنبع، فقال له: عبد الله ابن الزبير: أقلني (يعني هوّنت عن البيع)، قال عبد الله بن جعفر: أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أقيلك، فصار ما أخذ منه أعمر مما في يد عبد الله بن الزبير كما قال ابن الأثير في (أسد الغابة)، وهذا يدل على أنه مستجاب الدعوة ببركة دعاء رسول الله له.

ومع صغر سنه عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان في العاشرة من عمره، إلا أن رجاحة عقله المبكرة وفطنته جعلتاه يتبوأ مكانة علمية، مع منزلة خاصة من رسول الله

صلى الله عليه وسلم، الذي حنّ عليه واهتمّ بتوجيهه وتربيته، فعوضه الله عن حنو والده، الذي توفي في غزوة مؤتة وهو وإخوته مازالوا صغارا، فحظي بقلب أحن من قلب أبيه، وتربية وتوجيه أكمل من تربيته وتوجيهه.

ويبيّن أثر ذلک ما صح عند أحمد في مسنده وعند النسائي وأبي داود أن عبد الله بن جعفر قال إن النبي أتاهم بعد ما أخبرهم بقتل جعفر بعد ثلاثة، فقال: لا تبكوا أخي بعد اليوم، ائتوني ببني أخي، فجيء بنا كأننا أفراخ، فقال: ادعوا الحلاق إليّ، فأمر فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد فشبه عمنا أبي طالب، وإنما عبد الله فشبه خَلقي وخُلقي، ثم أخذ بيدي فأشالهما، ثم قال: اللهم اخلف جعفر في أهله، وبارک لعبد الله في صفقته، قال: فجاءت أمنا فذكرت يتمنا، فقال: العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟

كما روى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن جعفر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر تلقى بالصبيان من أهل بيته، وأنه قدم مرة من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة، وقد أورده مسلم أيضا في فضائل عبد الله بن جعفر.

وكان عليه صلوات الله وسلامه يحنو على عبد الله بن جعفر، ويدعو له ويتفقده في كل موقف، فقد مر النبي عليه الصلاة والسلام بعبد الله بن جعفر وهو يلعب بالتراب، فقال: "اللهم بارک له في تجارته"، رواه الهيثمي في المجمع، ويورد ابن الأثير بسنده حديثا يرفع إلى عبد الله بن جعفر، قال: أردفني رسول الله وراءه ذات يوم فأسر إليّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته، هدف أو حائش نخل (يعني حائطا) فدخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي حن وذرفت عيناه. وقال الشعبي: كان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال: السلام عليک يا ابن ذي الجناحين.

وروى محمد بن سيرين أن رجلا قدم المدينة بجواري، فنزل على ابن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن غبنت بسبع مائة درهم، فقال: من غبنک؟ قال: عبد الله بن جعفر، فأتاه عبد الله بن عمر، فقال له: إن هذا يقول إنک غبنته بسبع مائة درهم، فإما أن تعطيها إياه، وإما أن ترد عليه بيعته، فقال عبد الله بن جعفر بل نعطيها إياه.

وقد كان عبد الله بن جعفر يتطيب بالمسک عند إحرامه، وقد سُئل ابن عباس عن الطيب للمحرم، فقال: إني لأسعفه في رأسي قبل أن أحرم، ثم أحب بقاءه، وكان لا يرى بأسا بالطيب عند

الإحرام، ويوم النحر قبل أن يزور، وكان محمد بن الحنفية يغلّف رأسه بالغالية الجيدة قبل أن يحرم، أما عبدالله بن عمر فعندما سُئل عن الطيب عند الإحرام قال: لا آمر به، ولا أنهى عنه.

وفيما يرخص للمحرم فقد رأى عمر بن الخطاب وعلى عبد الله بن جعفر ثوبين مضرّجين (محمرين) وهو محرم فقال: ما هذا؟ فقال علي بن أبي طالب: ما أخال أحدا يعلّمنا السنة؟ فسكت عمر.

ومن هذا أخذ جواز الإحرام بثياب ملونة، وأن إحرام الرجل ليس مقصورا على البياض، ولكنه الأفضل.

ومرّ عثمان بن عفان بسبخة فقال: لمن هذه؟ فقيل اشتراها عبد الله بن جعفر بستين ألفا، فقال: ما يسرني أنها لي بنعل. فجزّأها عبد الله ثمانية أجزاء، وألقى فيها العمال. ثم قال عثمان لعلي بن أبي طالب: ألا تأخذ على يدي ابن أخيك، وتحجر عليه؟ اشترى سبخة بستين ألفا. قال: فأقبلت وظهر رونقها، فركب عثمان يوما فرآها، فأعجبته فبعث إليه، وقال: ولّني جزأين منها، يعني أريد شراء جزأين منها، وكان قد قسمها ثمانية أجزاء، فقال عبد الله له: أما والله لا أبيعك دون أن ترسل إلى من سفّهتني عندهم فيطلبون إليّ ذلك. أي يريد شفاعتهم.

ثم أرسل عثمان إليه إني قد فعلت، فقال عبد الله: والله لا أنقصك جزأين، من مائة ألف وعشرين ألفا. قال عثمان: قد أخذتها.

رضي الله عن عبد الله بن جعفر، فقد كانت تأتيه الدنيا راغمة، وأخباره في ذلك كثيرة، لكن كثرة الدنيا لم تدخل قلبه، ولم تلهه عن عبادة ربه، وكثرة الإنفاق، مع جزالة العطاء، وكان كثير العبادة والصدقة وحسن التوكل على الله.

قال محمد بن سيرين: إن رجلا جلب سكرا إلى المدينة فكسد ولم يرغب في شرائه أحد، فبلغ عبد الله بن جعفر، فأمر قهرمانه بأن يشتريه، وأن يُنهبه الناس — يعني يجعله مشاعا بين الناس بدون ثمن، رأفة بصاحبه حتى لا يرجع به لأهله.

وأورد الزبير بن بكار أن عبيد الله بن أبي مليكة روى عن أبيه عن جده أن ابن أبي عمار، وهو يومئذ فقيه الحجاز، دخل على نخاس — وهو الذي يبيع الجواري — فعرض عليه جارية، فعلق قلبه بها، وأخذه أمر عظيم، ولم يكن معه مقدار ثمنها، فمشى إليه طاووس وعطاء ومجاهد يعذلونه، وبلغ خبره عبد الله بن جعفر فاشتراها بأربعين ألفا وزينها وحلاها، ثم طلب ابن أبي عمار، فقال: ما فعل حبك فلانة؟ قال: هي التي هام قلبي بذكرها، والنفس مشغولة بها، فقال: يا جارية أخرجيها، فأخرجتها ترفل في الحلي والحلل. فقال: شأنك بها بارك الله لك فيها. فقال: لقد تفضلت بشيء عظيم.

***

التعليم والتربية

وقفة مع منهجية التعليم المعاصرة

د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بجامعة الإمام

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فثمة قضية تربوية مهمة لا تزال تطرح بين الفينة والأخرى على مستوى مصادر التأثير والقرار في المنحى التعليمي التربوي في البلاد العربية والإسلامية، ولم تزل مؤسسات التأثير في التعليم العام والمتخصص في الأوساط الغربية بل والشرقية والتي لا ترفع رأسا بمناهج التعليم الإسلامية وخصوصيتها الشرعية الربانية.

إنها يا معشر الإخوة قضية الحفظ وعلاقتها بتلقي التعليم، هذه القضية التي أضحى الخلط فيها عجيبا ومريبا.

إننا نفرق بين نوعين من أنواع العلم وهو العلم الديني وهو المتعلق بالديانة التي يتدين بها المتعلم صغيرا كان أو كبيرا، وبين العلم الدنيوي، هو المتعلم بالعلوم بالعلوم المادية المتعلق بمناحي التطور والتجريب والتركيب المادي إن صح التعبير.

وكلا النوعين يفتقران إلى قدر متفاوت من الحفظ المعتمد على التلقين، فجدول الضرب مثلا، لابد فيه ولاسيما في مراحل التعليم الأولى من التلقين، وقل مثل ذلك في النظريات الرياضية.

على أنه مهم في التعليم الديني الشرعي كحفظ القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الحفظ فيهما شرط أساسي، وطريق لابد منه للفهم ومن ثم الاعتقاد والعمل. وإن القدح فيه قدح في النبوة والوحي من جهة تلقيه من الله عز وجل، ومن جهة إبلاغه للناس من لدن النبي صلى الله عليه وسلم، بل والأنبياء قبله إلى أممهم. يدل لذلك وصف الله لنبيه ولأهل العلم بقوله تعالى في سورة العنكبوت (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون). والنبي صلى الله عليه وسلم في تلقينه أصحابه، ثم الصحابة من بعدهم وحي الله في الكتاب والحديث يعول على هذه الملكة "الحفظ" والتي أضحت أبرز سمات حضارة المسلمين في حفظ دينهم. نعم لما جربنا ترك الحفظ إلى حد بعيد في مناهج التعليم التطرية الشرعية والعربية خرجت مؤسسات التعليم حتى العليا منها، كتبا وقراء في أحسن الأحوال وغاب تخريج العلماء الذين حوت صدورهم العلم حفظا تعوّل عليه الفهم والدعوة وبعده النظر والعمل، فما أكثر الدكاترة وحملة المؤهلات، وقلة العلماء والفقهاء، والله أعلم.***

التعليم والتربية

الحفظ

أهميته، عجائبه، طريقته، أسبابه

عبد القيوم بن محمد بن ناصر السحيباني

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على أفضل الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن منزلة العلم لا تخفى، فهو من الشرف في المحل الأسمى، وله من الفضل الحظ الأوفى، والقدح المعلى.

والأدلة على فضله كثيرة، آيات كريمة، وأحاديث شريفة، وآثار موقوفة، وأقوال منقولة ... لكن العلم لا يحصل إلا بالحفظ، فمن حفظ المتون حاز الفنون، ومن لم يحفظ الأصول حرم الوصول. فمنزلة الحفظ من العلم أرفع منزلة.

بل الحفظ شرط للعلم، والشرط: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم.

ولما كان للحفظ هذه المكانة، وتلك الأهمية، كتبت هذه الوريقات حثا لنفسي وإخواني طلاب العلم على حفظ العلم، فأسأل الله –عز وجل– أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وقد جعلت هذا البحث في فصول تحتها مباحث، وإليك التفصيل.

الفصل الأول: أهمية الحفظ

حفظ العلم في الصدر، من الأهمية بمكان، وبدونه لا يمكن لطالب العلم مواصلة الدرب، فقدر الطالب في العلم قدر حفظه من نصوص الكتاب والسنة والمتون العلمية واستحضار أقوال الأئمة، فكلما زاد حفظه ارتفع قدره.

فقد قيل: من حفظ المتون حاز الفنون. وقيل: من حفظ الأصول ضمن الوصول.

والحفظ: أن يستظهر الكلام عن ظهر قلب، فيضبطه في صدره ويثبته، بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

يقال: حفظ القرآن، أي: وعاه عن ظهر قلب.[١]

---

[١] المصباح المنير ص٥٥.

قال عبد الرحمن بن مهدي: الحفظ الإتقان.[١]

سأل مهنا أحمد: ما الحفظ؟ قال: الإتقان هو الحفظ.[٢]

ولأهمية الحفظ، وعلو شأنه، أوصى به العلماء طلابهم، وأرشدوهم إليه، مبينين لهم أنه أنفع من مجرد جمع العلم في الدفاتر.

قال الأعمش: احفظوا ما جمعتم، فإن الذي يجمع ولا يحفظ كالرجل كان جالسا على خوان يأخذ لقمة لقمة فينبذها وراء ظهره فمتى تراه يشبع؟![٣].

قال القاسم بن خلاد: قيل: الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حديث في دفاترك.[٤]

قال العسكري: إذا كان ما جمعته من العلم قليلا وكان حفظا كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيرا غير محفوظ قلت منفعته.[٥]

بل لأهمية الحفظ، وكبير قدره، عده بعض العلماء العلم، دون سواه مما حوته بطون الكتب.

قال عبد الرزاق بن همام: كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علما[٦]، وأنشد:

وليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر[٧]

والبيت للخيل[٨]

قال هشيم بن بشير: من لم يحفظ الحديث فليس هو من أصحاب الحديث، يجيء أحدهم بكتاب يحمله كأنه سجل مكاتب.[٩]

قال محمد بن يسير الأزدي:

إذا لم تكن واعيا حافظا فجمعك للكتب لا ينفع

أشاهد بالعي في مجلس وعلمي في البيت مستودع[١٠]

---

[١] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٣).
[٢] الآداب الشرعية (٢/١١٩).
[٣] الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٤٨).
[٤] الجامع للخطيب (٢/٣٦٦).
[٥] الحث على طلب العلم ص٧٤.
[٦] الجامع للخطيب (٢/٢٥٠).
[٧] الحث على حفظ العلم لابن الجوزي ص٢٥-٢٦.
[٨] انظر: جامع بيان العلم ص١١٥.
[٩] الكامل لابن عدي (١/٩٥).
[١٠] الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥١-٢٥٢).

قال بعضهم:

استودع العلم قرطاسا فضيعه — بئس مستودع العلم القراطيس[١]

قال ابن عبد البر: ومما ينسب إلى منصور الفقيه من قوله:

علمي معي حيثما يممت أحمله — بطني وعاء له لا بطن صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي — أو كنت في السوق كان العلم في السوق[٢]

فائدة: هذان البيتان ذكرهما الخطيب ونسبهما لبشار.[٣]

قال صديق بن حسن القنوجي: وينبغي أن يحفظ ما كتبه من العلم، إذ العلم ما ثبت في الخواطر لا ما أودع في الدفاتر.[٤]

ومما يبرز أهمية الحفظ، ويظهر كبير شأنه، ما قد يحصل للكتب من أمور تتلفها، فيفقد ما فيها من العلم، إذا لم يكن محفوظا في الصدر.

قال بعضهم[٥]:

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب — فإن للكتب آفات تفرقها

الماء يغرقها، والنار تحرقها — والفأر يخرقها، واللص يسرقها

وقد حدث هذا لبعض أهل العلم، تلفت كتبهم لسبب ما، أو ابتعدوا عنها، فرجعوا إلى المحفوظ في الصدر، ومن هؤلاء:

١–أبو عمرو بن العلا (ت ١٥٤) كانت كتبه ملء بيت فاحترق، فكان جميع ما يؤخذ منه إلى آخر عمره من حفظه.[٦]

٢–ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧) قيل: ذهبت كتبه بالبصرة، في فتنة الزنج، فأعاد من حفظه خمسين ألف حديث.[٧]

٣–أبو بكر محمد بن عمر الجِعَابي (ت ٣٥٥) يقول: دخلت الرقة وكان لي ثمة قِمَطْران، فأنفذت غلامي إلى ذاك الرجل الذي كانت عنده الكتب، فرجع الغلام مغموما، فقال: ضاعت الكتب. فقلت: لا تغتم فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل عليّ منها حديث لا إسنادا ولا متنا.[٨]

---

[١] جامع بيان العلم ص ١١٦.

[٢] جامع بيان العلم ص ١١٦.

[٣] الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥٠).

[٤] أبجد العلوم لصديق حسن (١/٢٤٤).

[٥] تحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي ص ٨٤.

[٦] الحث على طلب العلم ص ٧٤.

[٧] تذكرة الحفاظ (٢/٦٤١).

[٨] الحدائق لابن الجوزي (١/٢٧)، والحث على حفظ العلم ص ٦١، والسير (١٦/٨٩).

٤–أبو عبد الله عبد الرحمن بن أحمد الخُتُّليُّ (ت ٣٣٥) دخل البصرة، وليس معه شيء من كتبه، فحدث شهورا إلى أن لحقته كتبه فكان يقول: حدثت بخمسين ألف حديث من حفظي إلى أن لحقتني كتبي.[1]

٥–أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري (ت ٢٠٢) يقول: لا أبالي أن يسرق مني كتاب سفيان أني أحفظه كله.[2]

الفصل الثاني: عجائب الحفظ:

عجائب الحفظ كثيرة ومتنوعة، بعضها أعجب من بعض، لا تكاد ترى عجيبة من عجائبه إلا وتسمع بأعجب منها، والعجائب في الحفظ متنوعة، فمنها:

عجائب في سرعة الحفظ، وعجائب في قوته، وعجائب في كثرة المحفوظ.

ولقد ظهرت في الأمة الإسلامية نماذج كثيرة في كل نوع من هذه الأنواع، لذا أفردت مبحثا لكل نوع، أذكر فيه ما وقفت عليه من ذلك.

وليس المقصود حصر كل ما ورد في ذلك، لعدم إمكانه، وقلة فائدته، بل المقصود أمثلة، وهذا كاف لشحذ الهمم، وإيقاظ العزائم، لسلوك الطريق، والتحلي بالصبر، والاتصاف بالجد، واستغلال الوقت.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ.

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ.

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ

لقد سجل التاريخ الإسلامي أمثلة عجيبة لأعلام الأمة الإسلامية في سرعة الحفظ، وقد تنوعت مواهبهم في ذلك، فمنهم من يحفظ من أول مرة، فليس بحاجة إلى إعادة وتكرار، ومن أمثلة هؤلاء:

١–عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٤):

قال الشعبي:

ما وضعت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني أحد بحديث فاحتجت إلى أن يعيده عليّ.[3]

٢–قتادة بن دِعامة السدوسي (ت ١١٨):

---

[1] الحث على حفظ العلم ص ٤٥. وانظر: السير (١٥/٤٣٦).
[2] تذكرة الحفاظ (١/٣٥٧).
[3] الحث على طلب العلم ص ٧١، ٧٢، والحث على حفظ العلم ص ٤٩.

قال قتادة: ما قلت لمحدث –قط-: أعد عليّ، و ما سمعت أذناي –قط– شيئا إلا وعاه قلبي.[١]

وقال: لزمت سعيد بن المسيب أربعة أيام يحدثني. فقال يوما: ليس تكتب! فهل يصير في يدك شيء مما أحدثك به؟ قلت له: إن شئت حدثتك بما حدثتني به. قال: فأعدتها عليه. قال: فبقي ينظر إليّ ويقول: أنت أهل أن تحدث فسل، فأقبلت أسأله.[٢]

قال أحمد بن حنبل: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئا إلا حفظه، قريء عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها.[٣]

٣–محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٥):

قال الزهري: ما استودعت قلبي شيئا –قط– فنسيته.[٤]

وقال: ما استعدت حديثا قط، ولا شككت في حديث قط، إلا وحديثا واحدا، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت.[٥]

٤–سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١):

قال سفيان الثوري: ما استودعت قلبي شيئا قط فخانني.[٦]

وقال: ما استودعت أذني شيئا قط إلا حفظته، حتى أمر بكذاب كلمة قالها[٧] فأسد أذني مخافة أن أحفظها.[٨]

٥–يزيد بن هارون (ت: ٢٠٦):

قال يزيد بن هارون: سمعت حديث الفتون مرة فحفظته، وأحفظ عشرين ألفا فمن شاء فليدخل فيها حرفا. قال الذهبي: حديث الفتون سبع ورقات سمعناه.[٩]

٦–عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦):

حكى أبو الحسن بن عمر بن بكير عن أبيه قال: كنا يوما عند الحسن بن سهل، وبحضرته جماعة من أهل العلم منهم الأصمعي وأبو عبيدة والهيثم بن عدي وخلق كثير من الناس. وصاحب

---

[١] تذكرة الحفاظ (١/١٢٣)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٦)، والحث على حفظ العلم ص٥٤.

[٢] حلية الأولياء (٢/٣٣٣).

[٣] سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٦).

[٤] حلية الأولياء (٣/٣٦٤)، الجامع للخطيب (٢/٣٦٤).

[٥] حلية الأولياء (٣/٣٦٣)، الجامع للخطيب (٢/٢٥٣). الحث على حفظ العلم ص٥٥.

[٦] المجروحين لابن حبان (١/٥٠) والسير (٧/٢٣٦).

[٧] كذا في المطبوع! ولعل فيه تصحيف، صوابه: بكلمة قالها كذاب. أو نحوه، وعلى كل فالمعنى ظاهر، والحمد لله.

[٨] الحث على حفظ العلم ص٣٩.

[٩] تاريخ بغداد (١٤/٣٤٠)، تذكرة الحفاظ (١/٣٢٠)، وانظر: السير (٩/٣٦٣) وفيه: حديث الصور، وانظر تعليق المحقق.

الحسن يعرض عليه الرقاع إلى أن وقع في خمسين رقعة، فلما فرغ من ذلك أقبل علينا، فقال: تذاكروا العلم. فتكلم أبو عبيدة والأصمعي والهيثم وجرير بن حازم، فالتح المجلس بالمذاكرة إلى أن بلغوا إلى ذكر الحفاظ من أصحاب الحديث، فأخذوا في الزهري والشعبي وقتادة وشعبة.

فقال أبو عبيدة: وما حاجة إلى هؤلاء، وما ندري أصدق الخبر عنهم أم كذب، وبالحضرة رجل يزعم أنه ما أنسي شيئا قط، وأنه ما يحتاج أن يعيد نظره في دفتره، إنما هي نظرة واحدة ثم قد حفظ ما فيه. يعرض بالأصمعي.

فقال الحسن: نعم والله يا أبا عبيدة إنك لتجيء من هذا بما ينكر جدا.

فقال الأصمعي: نعم ما أحتاج أن أعيد النظر في دفتر، وما أنسيت شيئا قط.

فقال الحسن: فنحن نجرب هذا القول، يا غلام: الدفتر الفلاني، فإنه جامع لكثير مما أسندناه وحدثناه. فمضى الغلام ليحضر الدفتر.

فقال الأصمعي: فأنا أريك أعجب من هذا، أنا أعيد القصص التي مرت بأسماء أصحابها وتوقيعاتك فيها كلها، وامتحن ذلك بالنظر إليها. وقد كان عارض بتلك التوقيعات في وقت ذلك من حضر واستنصحوا. فاستدعى الحسن القصص.

فقال الأصمعي: القصة الأولى لفلان، قصة كذا وكذا، وقعت كذا وكذا. حتى أتى على سبع وأربعين قصة.

فقال الحسن: حسبك، الساعة والله تقتلك الجماعة بأعينها، يا غلام خمسين ألف درهم. ثم قال: يا غلام أن احملوها معه. فقال: تنعم بالحامل كما أنعمت بالمحمول.

فقال: هم لك ولست تنتفع بهم، قد اشتريتهم منك بعشرة آلاف درهم. فحملت معه الدراهم، وانصرف الباقون بالخيبة.[١]

٧-عبد الله بن هارون المأمون (ت ٢١٨):

ركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فأسمعهما مائة حديث، فقال المأمون: يا عم، إن أذنت لي أعدتها من حفظي. فأذن له، فأعادها من حفظه كما سمعها، فتعجب لحفظه ابن ادريس.[٢]

---

[١] الحث على حفظ العلم ص ٤٧، ٤٨.

[٢] تذكرة الحفاظ (١/٢٨١)، البداية والنهاية (١٤/١٤).

٨–محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦):

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع؟

فقال لنا يوما –بعد ستة عشر يوما– إنكما قد أكثر تما علي وألححتما، فاعرضا علي ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه.

ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.[1]

٩-أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤):

قال أبو زرعة: ما سمعت أذني شيئا من العلم إلا وعاه قلبي، وإني كنت أمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات فأضع أصبعي في أذني مخافة أن يعيه قلبي[2].

١٠–أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩):

قال أبو عيسى الترمذي: كنت في طريق مكة فكتبت جزئين من حديث شيخ، فوجدته فسألته وأنا أظن الجزئين معي، فأجابني فإذا معي جزء ابياض، فبقي يقرأ علي من لفظه، فنظر فرأى في يدي ورقا بياضا، فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمري، وقلت: أحفظه كله. قال: اقرأ. فقرأته عليه، فلم يصدقني، وقال: استظهرت قبل أن تجيء.

فقلت: حدثني بغيره، فحدثني بأربعين حديثا، وقال: هات، فأعدتها عليه ما اخطأت في حرف.[3]

١١–أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤):

قال أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي: حدثني كتبي كان يجلس إليه المتنبي قال: ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان –يعني المتنبي– كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتابا من كتب الأصمعي –نحو ثلاثين ورقة– ليبيعه، فأخذ ينظر فيه طويلا.

فقال له الرجل: يا هذا أريد أن أبيعه، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون بعد شهر.

فقال ابن عبدان: فإن كنت قد حفظته فما لي عليك؟ قال أهبه لك.

---

[1] الحث على حفظ العلم ص ٥٥، ٥٦، والسير (١٢/ ٤٠٨).

[2] تاريخ بغداد (١٠/ ٣٣٣).

[3] تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٥).

قال: فأخذت الدفتر من يده، فأقبل يقرأ عليّ إلى آخره، ثم استلبه فجعله في كمه وقام، فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن، فمنعناه منه، وقلنا: أنت شرطت على نفسك.[1]

١٢–علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥):

قال الأزهري: بلغني أن الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصفار، فجعل ينسخ جزءا كان معه، وإسماعيل يملي، فقال الرجل: لا يصح سماعك وأنت تنسخ.

قال الدارقطني: فهمي للإملاء خلاف فهمك، كم تحفظ أملى الشيخ؟ فقال: لا أحفظ!

قال الدارقطني: أملى ثمانية عشر حديثا، الأول عن فلان عن فلان ومتنه كذا وكذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان ومتنه كذا وكذا. ومر في ذلك حتى أتى على الأحاديث، فتعجب الناس منه أو كما قال.[2]

١٣–أبو العباس ابن تيمية (٧٢٨):

قال جمال الدين السرمدي: من عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية كان يمر بالكتاب مرة مطالعة فينقش في ذهنه.[3]

١٤–أبو المعالي محمد بن علي بن أبي العشائر الحلبي (ت ٧٨٩):

قيل: إنه حفظ سورة الأنعام –وهو شاب– من مرة واحدة.[4]

(يتبع)

***

[1] تاريخ بغداد (١٠٣/٤)، تاريخ الإسلام (١٠٢/٣٦).
[2] السير (٤٥٣/١٦).
[3] البدر الطالع (٧٠/١).
[4] الدر الكامنة (٨٦/٤).

آفاق إسلامية

كتاب الله التوراة في كتاب الله القرآن

(٢-٢)

أمان الله محمد إسماعيل
المدينة المنورة

سادسا: ما ذكر في القرآن الكريم عن تحريف التوراة: أجمع المسلمون من السلف والخلف على وقوع التحريف في التوراة إما عمدا وإما خطأ، وإن اختلفوا في مقدار التحريف والمراد بالتحريف، ولكن الراجح والصحيح أن كثيرا من التوراة قد حرفت وبدلت تحريفا لفظيا، وكانت نسخ صحيحة إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ونسخ محرفة، ومع ذلك بقيت باقية من وحي الله تعالى إلى يومنا هذا.[1]

ولو نظرنا إلى القرآن الكريم وجدنا أنه يذكر وسائل متعددة فعلها اليهود التي تسببت في تحريف كتاب الله تعالى التوراة المنزل على موسى عليه السلام، وهذه الوسائل والأسباب هي:

١-الإخفاء: يقول تعالى: (تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً)[2]، ويقول: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)[3].

لما ذكر الله تعالى ما أخذه الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلا منهم، أمرهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم..."[4]

٢- الكتمان: يقول تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[5]، ويقول تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا

[1] انظر: التفسير الكبير لابن تيمية، ت: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٢٠٩/١)
[2] سورة الأنعام: ٩١
[3] سورة المائدة: ١٥
[4] انظر: تفسير السعدي: ص: ٢٢٦
[5] سورة البقرة: ١٤٦

يَشْتَرُونَ)[١]، ويقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ).[٢]

يخبر تعالى عن تحريف أهل الكتاب كتبهم وذلك بكتمان معرفة محمد صلى الله عليه وسلم بأنه رسول، وما جاء به حق وصدق، وتيقنوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم لكن كثيرا منهم كتموا هذه الشهادة مع تيقنها وعلمها.[٣]

و (فيه الإخبار بأن الذي يكتم ذلك ملعون، واختلفوا في المراد بذلك، فقيل أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد، وقيل من كتم الحق)[٤]

٣- إلباس الحق بالباطل: يقول تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٥]، ويقول تعالى: (وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).[٦]

فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان الحق.[٧]

٤-الكذب والتكذيب: يقول تعالى: (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)[٨]، ويقول تعالى: (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).[٩]

٥- لَيُّ الألسنة بالكتاب: يقول تعالى: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).[١٠]

(يعني بذلك جل ثناؤه أن من اليهود الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله جماعة يحرفون ألسنتهم بالكتاب لتظنوا أن الذي يحرفونه بكلامهم من كتاب الله، يقول الله عز وجل وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله).[١١]

---

[١] سورة آل عمران: ١٨٧

[٢] سورة البقرة: ١٥٩

[٣] انظر: تفسير السعدي: ص: ٧٢

[٤] فتح القدير للشوكاني، ت-سعيد اللحام، دار الفكر، ط، ١٤١٤هـ

[٥] سورة آل عمران: ٧١

[٦] سورة البقرة: ٤٢

[٧] انظر: تفسير السعدي: ص: ١٣٤

[٨] سورة آل عمران: ٩٣-٩٤

[٩] سورة آل عمران: ٧٨

[١٠] سورة آل عمران: ٧٨

[١١] انظر: تفسير الطبري، ت: د/بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤١٥هـ

٦- تعطيل أحكام التوراة وعدم إقامتها والعمل بها: يقول تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)[1] ويقول تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[2]، ويقول تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).[3]

٧- الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر: يقول تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).[4]

قال المفسرون: كان الله سبحانه وتعالى أخذ على اليهود أربعة عهود، ترك القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، وفداء أسراهم، فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء فوبخهم الله على ذلك بقوله: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ).[5]

ويذكر ابن عثيمين رحمه الله تعالى وجه كونهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض: أنهم كفروا بما نهوا عنه من سفك الدماء، وإخراج أنفسهم من ديارهم، وأمنوا بفدائهم الأسرى، والذي يعبد الله على هذه الطريقة لم يعبد الله حقيقة وإنما عبد هواه، فإذا صار الحكم الشرعي يناسبه قال: آخذ به، وإذا كان لا يناسبه راوغ عنه بأنواع التحريف، والتماس الأعذار[6].

٨- الإهمال: يقول تعالى: (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ).[7]

---

[1] سورة آل عمران: ٦٦
[2] سورة آل عمران: ٦٨
[3] سورة الجمعة: ٥
[4] سورة البقرة: ٨٥
[5] فتح القدير: (١٢٩/١)
[6] المصدر السابق: (٢٧٥/١)
[7] سورة البقرة: ١٠٠

أي ترك هذا العهد جماعة منهم _ أي من اليهود — فطرحوه، ولم يفوا به، وهذا حال بني إسرائيل مع الله سبحانه وتعالى، ومع عباد الله، فالله تعالى أخذ عليهم العهد، والميثاق، ومع ذلك نبذوا العهد والميثاق، والنبي صلى الله عليه وسلم عاهدهم، ونبذوا عهده[1]

ويقول: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ).[2]

الكتاب وهو بالنسبة لليهود التوراة، وبالنسبة للنصارى الإنجيل،ويقول: (وراء ظهورهم) أن رموه بشدة وراء الظهر، وهو عبارة عن الانصراف التام عنه..."[3]

٩- الظن: يقول تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ).[4]

أي من اليهود من هم بمنزلة الأميين الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ...، وفيه ذم الحكم بالظن، وأنه من صفات اليهود؟[5]

١٠- النسيان: يقول تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ).[6]

١١- التزوير: يقول الله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ).[7]

الكتاب بمعنى المكتوب، والمراد به التوراة، وفيه الوعيد على الذين يكتبون التوراة بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله وهم كاذبون[8]

وفي تفسير الطبري: (يعني بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلات مخالفا لما أنزل الله على نبيه، هم باعوه من قول، لا علم لهم بذلك ولا بما في التوراة تطلب عرض من الدنيا الخسيس)[9]

[1] تفسير سورة الفاتحة والبقرة لابن عثيمين (٣٢٢/١)
[2] سورة البقرة: ١٠١
[3] انظر: تفسير سورة الفاتحة والبقرة لابن عثيمين (٣٢٣/١)
[4] سورة البقرة: ٧٨
[5] انظر: تفسير سورة الفاتحة والبقرة: (٢٥٧/١)
[6] سورة المائدة: ١٣
[7] سورة البقرة: ٧٩
[8] انظر: سورة الفاتحة والبقرة، لابن عثيمين (٢٥٨/١-٢٥٩)
[9] انظر: تفسير الطبري (٣٦٤/١)، وانظر: للتوسع: مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١١)

سابعا: واجب المسلم تجاه التوراة: المسلم مكلف بالإيمان الكامل والتسليم التام بكل ما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله، والوارد في كتاب الله عن التوراة أمور كثيرة، كما مرت بنا في المسائل السابقة، والأمور التي يجب على المسلم تجاه التوراة كثيرة، من أهمها:

١- الإيمان بها: الإيمان بكتب الله السماوية ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان الصادق بالكتب التي أنزلها الله تعالى على المصطفين الأخيار إجمالا، وبالكتب التي ذكرها بأسمائها وبين بعض صفاتها تفصيلا، ومن ثم يكون الإيمان بالتوراة تفصيلا؛ لأنه ورد ذكرها في القرآن مفصلا، فيكون الإيمان بالتوراة مفصلا بأنها كتاب الله أنزلها على أحد أولي العزم من الرسل موسى عليه السلام، فيها هدى ونور، والإيمان بكل ما ورد عنها في القرآن الكريم، يقول تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[1]، ويقول تعالى: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[2]، ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً)[3].

٢- ويعتقد المسلم تجاه التوراة أنها كتاب الله وكلامه المبين، تكلم به حقيقة، غير مخلوق.

٣- ويعتقد المسلم تجاه التوراة أنها نزلت من عند الله على موسى عليه السلام بواسطة جبريل الأمين.

٤- ويعتقد المسلم تجاه التوراة الموجودة الآن أنها محرفة ومبدلة، وكانت لها نسخة صحيحة إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى الآن بقيت فيها باقية من نور الوحي.[4]

٥ — ويعتقد المسلم تجاه التوراة أن أحكامها منسوخة بالقرآن ولا يجوز العمل إلا بكتاب الله الأخير القرآن الكريم، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة البشرية من العرب والعجم، الأحمر والأسود، اليهود والنصارى وغير ذلك، يقول تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

---

[1] سورة البقرة: ١٣٦

[2] سورة آل عمران: ٨٤

[3] سورة النساء: ١٣٦

[4] انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/١٠٤).

يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[١]، ويقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[٢].

ثامنا: الفرق بين المسلمين واليهود تجاه أنبياء الله وكتبه: ففي نهاية هذا المقال المختصر نبين الفرق بين اليهود والمسلمين تجاه أنبياء الله وكتبه المنزلة في ضوء القرآن الكريم فنقول:

١- إن المسلمين يؤمنون بجميع أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، بل الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان وأصل من أصولهم الإيمانية، ولا يتم إيمان العبد المسلم إلا بالإيمان بهم جميعا، كما أن التفريق بين أنبياء الله في الإيمان بهم محرم عندهم، بل هو كفر مخرج من ملة الإسلام، وهذا الاعتقاد جاء عندهم بما أمرهم الله به في كتابه القرآن الكريم في عدة آيات، وبما ورد عندهم في السنة الصحيحة المجمع عليها؛ فمن الكتاب: يقول تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٣]، ويقول تعالى: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٤]، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٥]

بخلاف اليهود الذين لا يؤمنون بالأنبياء إلا بالبعض منهم، ثم إنهم مع إيمانهم ببعض منهم ينسبون إليهم كثيرا من المخازي والأفعال الشنيعة والقبائح من الزنا وعبادة الأصنام وغير ذلك[٦]، كما أنهم قتلوا كثيرا من الأنبياء والرسل، وطعنوا في المسيح ابن مريم وأمه، فجعلوه ولد زنا، وأمه بغية.

---

[١] سورة الأعراف: ١٥٨

[٢] سورة الأعراف: ٢٨

[٣] سورة البقرة: ١٣٦

[٤] سورة آل عمران: ٨٤.

[٥] أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدَر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبرئ ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه (٣٦/١) رقم الحديث: ٨.

[٦] انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف ص: ٨٩-٩٧، وانظر: مقال الدكتور محمود عبد الرحمن القدح "الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم" في مجلة الجامعة الإسلامية العدد: ١١١، السنة: ٣٣. ١٤٢١هـ، ص: ٣٤٩-٣٥٠.

يقول تعالى: (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[١].

ويقول تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)[٢]، ويقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ)[٣].

ويقول تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)[٤].

ففي هذه الآيات ومثلها تعيير لليهود - قتلة أنبياء الله ورسله — حيث لم يأمرهم الله بقتل الأنبياء والرسل بل حرم عليهم قتلهم، وأمرهم بطاعتهم وتصديقهم، لكنهم قتلوهم اتباعا لمجرد الأهواء والآراء والتشهي.[٥]

٢- إن المسلمين يؤمنون بجميع كتب الله المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولكن اليهود لا يؤمنون إلا بالتوراة فقط، يقول تعالى: (هَاأَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ)[٦]، ويقول في اليهود: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[٧]، حيث أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض آخر.[٨]

وبهذا قد انتهينا إلى أن التوراة كتاب عظيم أنزل على رسول عظيم، كان فيها هدى ونور، لكن اليهود حرفوها وبدلوها، وزادوا فيها ونقصوا منها، وعلى المسلم أن يعتقد في التوراة أنها كتاب سماوي في أصلها، أنزل على موسى عليه السلام، وأنها نسخت بشريعة خاتم الرسل وإمام المرسلين عليه وعلى إخوانهم أفضل الصلاة وأتم التسليم من الأنبياء والرسل والصحابة أجمعين.

هذا ما تيسر لي جمعه، فما كان فيه من الحق والصواب فمن الله تعالى، وما كان من الخطأ والزلل فمني ومن الشيطان، وأسأل الله التوفيق والسداد، وأستغفره وأتوب إليه، وصلى الله على نبينا وسلم تسليما كثيرا.

***

---

[١] سورة البقرة: ٩١
[٢] سورة البقرة: ٦١
[٣] سورة آل عمران: ٢١
[٤] سورة آل عمران: ١١٢
[٥] انظر: تفسير القرآن الكريم لابن كثير (١٠٩/١)
[٦] سورة آل عمران: ١١٨.
[٧] سورة البقرة: ٨٥
[٨] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٥/١) مكتبة العبيكان.

آداب إسلامية

آداب الصلاة

(٩-٩) الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

١١٠- إن الإمام إذا تأخر عن الصلاة تقدم غيره إذا لم يخف فتنة وإنكارا من الإمام، فعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي بالناس، فأقيم، قال: نعم، قال: فصلى أبوبكر، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفّق الناس، وكان أبوبكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امكث مكانك، فرفع أبوبكر يديه، فحمد الله عز وجل على ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، ثم استأخر أبوبكر حتى استوى في الصف، وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم، فصلى، ثم انصرف، فقال: يا أبابكر! ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟ قال أبوبكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق، من نابه شيء في صلاته فليسبّح، فإنه إذا سبّح التفت إليه، وإنما التصفيح للنساء.[١]

قال النووي: "فيه فضل الإصلاح بين الناس، ومشي الإمام وغيره في ذلك وإن الإمام إذا تأخر عن الصلاة تقدم غيره إذا لم يخف فتنة وإنكارا من الإمام، وفيه أن المقدم نيابة عن الإمام يكون أفضل القوم وأصلحهم لذلك الأمر، وأقومهم به، وفيه أن المؤذن وغيره يعرض التقدم على الفاضل، وإن الفاضل يوافقه، وفيه أن الفعل القليل لا يبطل الصلاة لقوله: "صفق الناس"، وفيه جواز الالتفات في الصلاة للحاجة، واستحباب حمد الله تعالى لمن تجددت له نعمة، ورفع اليدين بالدعاء، وفعل ذلك الحمد والدعاء عقب النعمة وإن كان في صلاة، وفيه جواز مشي الخطوة والخطوتين في الصلاة، وفيه- أن هذا القدر لا يكره إذا كان لحاجة، وفيه جواز استخلاف المصلي بالقوم من يتم الصلاة لهم، وهذا هو الصحيح في مذهبنا، وفيه ملازمة الأدب مع الكبار، وفيه أن السنة لمن نابه شيء في صلاته كإعلام من يستأذن عليه، وتنبيه الإمام وغير ذلك إن كان رجلا فيقول: سبحان الله، وأن يصفق وهو التصفيح إن كان

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم ... الخ.

امرأة، فتضرب بطن كفها الأيمن على ظهر كفها الأيسر، ولا تضرب بطن كف على بطن كف على وجه اللعب واللهو، فإن فعلت هكذا على جهة اللعب بطلت صلاتها لمنافاة الصلاة، وفيه تقديم الصلاة في أول وقتها، وفيه — أن الإقامة لا تصح إلا عند إرادة الدخول في الصلاة لقوله: "أتصلي فأقيم"، وفيه — أن المؤذن هو الذي يقيم الصلاة، فهذا هو السنة، ولو أقام غيره كان خلاف السنة، ولكن يعتد بإقامته عندنا، وعند جمهور العلماء، وفيه — جواز خرق الإمام الصفوف ليصل إلى موضعه إذا احتاج إلى خرقها لخروجه لطهارة، أو رعاف، أو نحوهما، ورجوعه، وكذا من احتاج إلى الخروج من المأمومين لعذر، وكذا له خرقها في الدخول إذا رأى قدامهم فرجة فإنهم مقصرون بتركها.[١]

١١١— ينبغي للمرء المسلم أن يحسن الصلاة والخشوع، ويتم الركوع والسجود، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم انصرف فقال: يا فلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي، فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي.[٢]

١١٢— يحرم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، فعن أنس — رضي الله عنه — قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف[٣] الحديث.

١١٣— ليس من الأدب أن يرفع المرء بصره إلى السماء في الصلاة، فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ولا ترجع إليهم.[٤]

١١٤— يُسن أن يتم الصفوف الأول، ويتراص في الصفوف، ومعنى إتمام الصفوف الأول أن يتم الأول ولا يشرع في الثاني حتى يتم الأول ولا في الثالث حتى يتم الثاني وفي الرابع حتى يتم الثالث وهكذا إلى آخرها، فعن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس، اسكنوا في الصلاة قال: ثم خرج علينا، فرآنا حِلقا فقال: ما لي أراكم عزين، ثم خرج علينا فقال: ألا تصفون كما تصف

---

[١] شرح صحيح مسلم١/١٧٩، ١٨٠.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع إلخ.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلخ.

الملائكة عند ربها، فقلنا يا رسول الله! كيف تصف الملائكة عند ربها، قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف.[١]

١١٥– من السنة أن يقول الرجل في السلام من الصلاة: السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه، السلام عليكم ورحمة الله عن شماله، ولا يزيد على هذا، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما، قال: كنا إذا صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلنا: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، وأشار بيده إلى الجانبين[٢] الحديث.

قال النووي: "وفيه أن السنة في السلام من الصلاة أن يقول: "السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه، السلام عليكم ورحمة الله عن شماله، ولا يسن زيادة: "وبركاته" وإن كان قد جاء فيها حديث ضعيف وأشار إليها بعض العلماء ولكنها بدعة، إذ لم يصح فيها حديث، بل صح هذا الحديث وغيره في تركها، والواجب منه "السلام عليكم" مرة واحدة، ولو قال: "السلا عليكم" بغير ميم لم تصح صلاته، وفيه دليل على استحباب تسليمتين، وهذا مذهبنا، ومذهب الجمهور.[٣]

١١٦– يستحب أن يقوم الأفضل فالأفضل خلف الإمام، لحديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليليني منكم أولو الأحلام والنُهى، ثم الذين يلونهم ثلاثا، وإياكم وهيشات الأسواق.[٤]

قال النووي: "في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف، فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة، ويحفظوها، وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من ورائهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشارة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن.[٥]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة الخ.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة الخ.
[٣] شرح صحيح مسلم ١٨١/١.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها الخ.
[٥] شرح صحيح مسلم ١٨١/١.

١١٧– ينبغي للإمام أن يُسوّي الصفوف، ويعتني بها، ويحث عليها، لحديث أبي مسعود – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم[1] الحديث.

١١٨– لا بأس بالكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة، لحديث النعمان بن بشير يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوما فقام حتى كاد يكبر، فرأى رجلا باديا صدره من الصف، فقال: عباد الله! لتسوّن صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم.[2]

١١٩– ينبغي للإمام أن يخفف الصلاة بحيث لا يخل بسننها ومقاصدها، وأنه إذا صلى لنفسه طوّل ما شاء، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء.[3]

قال النووي: "معنى أحاديث الباب ظاهر وهو الأمر للإمام لتخفيف الصلاة بحيث لا يخل بسنتها ومقاصدها، إنه إذا صلى لنفسه طوّل ما شاء في الأركان، التي تحتمل التطويل، وهي القيام والركوع والسجود والتشهد دون الاعتدال والجلوس بين السجدتين[4] والله أعلم.

١٢٠– يجوز التأخر عن صلاة الجماعة إذا علم من عادة الإمام التطويل الكثير، لحديث أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا[5] الحديث.

١٢١– تجوز صلاة النساء مع الرجال في المسجد، وإن الصبي يجوز إدخاله المسجد، لحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأخفف من شدة وجد أمه به.[6]

١٢٢– يُستحب للرجل أن يجلس بعد التسليم شيئا يسيرا في مصلاه، وأن يقول الأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن البراء بن عازب قال: رمقت الصلاة مع محمد صلى

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف إلخ.
[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، الخ.
[3] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.
[4] شرح صحيح مسلم ١/١٨٨.
[5] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة الخ.
[6] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة الخ.

الله عليه وسلم فوجدت قيامه، فركعته، فاعتداله بعد ركوعه، فسجدته فجلسته بين السجدتين، وجلسته مابين التسليم والانصراف قريبامن السواء.[١]

١٢٣–إن السنة أن لا ينحني المأموم للسجود حتى يضع الإمام جبهته على الأرض، فعن البراء قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يحنو أحد منا ظهره حتى نراه قد سجد.[٢]

١٢٤– يستحب أن يقول الرجل إذا رفع رأسه من الركوع هذا الدعاء: "سمع الله لمن حمده، ربنا لک الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد"..

عن ابن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لک الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد.[٣]

قال النووي: "وفي هذا الحديث فوائد، منها: استحباب هذا الذكر، ومنها: وجوب الاعتدال، ووجوب الطمأنينة فيه، وأنه يستحب لكل مصل من إمام ومأموم ومنفرد أن يقول: "سمع الله لمن حمده ربنا لک الحمد" ويجمع بينهما فيكون قوله "سمع الله لمن حمده" في حال ارتفاعه، وقوله: "ربنا لک الحمد" في حال اعتداله لقوله صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[٤] (رواه البخاري)

١٢٥–لا يجوز أن يقرأ المرء القرآن في الركوع والسجود، لحديث علي – رضي الله عنه– قال: نهاني حِبّي أن أقرأ راكعا، أو ساجدا".[٥]

قال النووي: "فيه النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وإنما وظيفة الركوع التسبيح، ووظيفة السجود التسبيح والدعاء، فلو قرأ في ركوع أو سجود غير الفاتحة كره، ويبطل صلاته، وإن قرأ الفاتحة ففيه وجهان لأصحابنا أصحهما أنه كغير الفاتحة فكره، ولا يبطل صلاته، والثاني: يحرم وتبطل صلاته، هذا إذا كان عمدا، فإن قرأ سهوا لم يكره، وسواء قرأ عمدا أو سهوا يسجد للسهو عند الشافعي.[٦]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة الخ.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب متابعة الإمام والعمل بعده.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع.
[٤] شرح صحيح مسلم ١/١٩٠.
[٥] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.
[٦] شرح صحيح مسلم ١/١٩١.

وقد وردت أذكار كثيرة تقال في الركوع والسجود، فمن الأذكار التي تقال في السجود ما ذكره الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: "اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره وعلانيته وسره".[١]

ومن الأذكار التي تقال في الركوع والسجود ما يلي:

عن عائشة — رضي الله عنها — قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي".[٢]

وعنها قالت: افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست، ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد يقول: "سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت" فقلت بأبي أنت وأمي، إني لفي شأن، وإنك لفي آخر".[٣]

وعنها قالت: "فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدمه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك".[٤]

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير أن عائشة نبأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: "سبوح قدوس، رب الملائكة والروح".[٥]

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الكثيرة تحث على الدعاء في السجود، ولذا فينبغي للعبد المسلم أن يعتني بالإكثار من الدعاء والتسبيح في السجود امتثالا بقول النبي صلى الله عليه وسلم الآتي، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء".[٦]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود.
[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.
[٣] رواه مسلم في صحيحه.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.
[٥] رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود.
[٦] رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود.

١٢٦– إن السنة نصب القدمين في السجود، فعن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدمه وهو في المسجد، وهما منصوبتان،[1] الحديث.

١٢٧ – ينبغي للساجد أن يسجد على سبعة أعضاء: الجبهة، والأنف، واليدين، والركبتين، والقدمين، وأنه لا ينبغي للمرء أن يضم ويجمع الثياب والشعر وهو يصلي، لحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أسجد على سبع، ولا أكفت الشعر والثياب: الجبهة، والأنف، واليدين، والركبتين، والقدمين".[2]

قال النووي: "اتفق العلماء على النهي عن الصلاة وثوبه مشمر، أو كمه، أو نحوه، أو رأسه معقوص، أو مردود شعره تحت عمامته أو نحو ذلك، فكل هذا منهي عنه باتفاق العلماء، وهو كراهة تنزيه، فلو صلى كذلك فقد أساء، وصحت صلاته، واحتج في ذلك أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإجماع العلماء، وحكى ابن المنذر الإعادة فيه عن الحسن البصري.[3]

١٢٨ – إن السنة أن يطمئن المرء على فخذه اليسرى إذا قعد بين السجدتين، أو في التشهد الأول، لحديث ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد خوّى بيديه تعني جنح حتى يرى وضح إبطيه من ورائه، وإذا قعد اطمأن على فخذه اليسرى.[4]

قال النووي: وأما القعود في التشهد الأخير فالسنة فيه التورك كما رواه البخاري في صحيحه من رواية أبي حميد الساعدي، وكذلك رواه أبو داود والترمذي وغيرهما.[5]

٣٦– إن السنة للراكع أن يسوّي ظهره بحيث يستوي رأسه ومؤخره.[6]

١٢٩– وجوب الجلوس بين السجدتين.[7]

١٣٠ – جواز الصلاة بحضرة الحائض، وجواز الصلاة في ثوب بعضه على المصلي وبعضه على حائض.[8]

***

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي الخ.
[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي الخ.
[3] شرح صحيح مسلم ١/١٩٣.
[4] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود الخ.
[5] شرح صحيح مسلم ١/١٩٤.
[6] شرح صحيح مسلم ١/١٩٤.
[7] شرح صحيح مسلم ١/١٩٤.
[8] شرح صحيح مسلم ١/١٩٨.

حركات هدامة

مخططات اليهود .. والشيعة حول الحرم المكي وسبل مواجهتها

(٣-٣)

الشيخ أبو القاسم عبد العظيم
مئونات بنجن

مخططات الكفرة والمشركين من غير الصهاينة والصليبيين حول الحرم المكي:

لم أقف على شيء من مخططات الكفرة والمشركين ونواياهم حول الحرم المكي الشريف إلا ما ذكر الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه: خصائص جزيرة العرب". (ص٤٨ –٤٩) من قول بعض الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين: "إن تحت الكعبة بيتا فيه صنم يبخّر، ويصرف وجهه إلى الجهات الأربع، ليقبل الناس إلى الحج".

ويقول رحمه الله: "وهذا مما يعلم كل من عرف أمر مكة أنه من أبين الكذب، وأنه ليس تحت الكعبة شيء من هذا، وأنه لا ينزل أحد من أهل مكة إلى ما تحت الكعبة، ولا يحفره أحد، ولا يخّر أحد شيئا هناك، ولا هناك صنم ولا غير صنم".

ولكن نعلم من طبيعة الكفرة والمشركين أنهم يتعاونون ويتعاضدون مع اليهود والصهاينة والنصارى والصليبيين منذ عصر الاستعمار خلافا للمسلمين.

فليس ببعيد أنهم يكونون خير أصدقاء لأهل هاتين الملتين في مستقبل الأيام حيث يخططون لهدم الكعبة وتخريبها – لا قدر الله -.

مخططات الشيعة والخمينيين وآيات قم حول الحرم المكي الشريف:

إن الشيعة والخمينيين وآيات قم ومن دان دينهم من رجال أهل السنة المبتدعين يتطلعون إلى إقامة "حكومة شيعية عظمى" ويسمونها "الحكومة الإسلامية" دون هذه الدولة التي أقاموها على أرض إيران منذ ثورة الخميني على الشاه. وإن هذه الحكومة الشيعية العظمى تمتد من الشرق إلى الغرب، وتمتد أجنحتها إلى القدس وبلاد الحرمين الشريفين وإلى أفغانستان وإلى كافة جزيرة العرب وغيرها من البلاد، بل وسيكون مركزها الرئيسي فيما بعد كوفة العراق. ويستندون في دعواهم الزائفة إلى كثير من نصوص بروتكولاتهم السرية التي تأمرهم بالقتل والسلب والنهب لعامة المسلمين وحجاجهم الآمنين في أقدس وأطهر وآمن بقعة من الأرض. ألا، وهو مكة المكرمة – زادها الله شرفا وتعظيما وقدرا -.

فمن خططهم العدوانية على بيت الله الحرام من خلال تعاليمهم الدينية وكتبهم المقدسة:

(ألف) نزع الحجر الأسود من الكعبة:

جاء في كتاب "الوافي" للفيض الكاشاني: "يا أيها الكوفة! لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب أحد من: فضل مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم... ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه". (الوافي ١/٢١٥، باب فضل الكوفة ومساجدها)

هذا وعد من زنادقة العصور البائدة أن يقوموا بنقل الحجر الأسود إلى أماكن العبادات عندهم وهي الأضرحة والقبور، والتي يسمونها بـ "المشاهد". ويحدّد هذا النص "الكوفة"، وهي الموطن الأول الذي نسج فيه إمامهم وقائدهم ابن سبا اليهودي خيوط مؤامرته، ووضع فيها خليته الأولى، ولذا جاء في نصوص زمرة الخميني أنه لم يقبل دعوتهم من بلاد الإسلام إلا الكوفة. (بحار الأنوار للمجلسي ١٠٠/٢٥٩ و٦٠/٢٠٩)

ولعل قائلا يقول: ولِمَ "الكوفة" بالذات؟

قلت: ذلك لأن مهديهم من هنا يبدأ مهمته، كما يقول شيخهم وأحد آياتهم في هذا العصر: "إن المهدي يبدأ بغزو العالم انطلاقا من "الكوفة"، وذلك بإرسال السرايا وبث الجيوش المتكاملة للقيام بهذه المهمة. (تاريخ ما بعد الظهور لملا محمد باقر الصدر ص ٤٥٠)

ويا ترى من هذا المهدي؟

قلت: ليس هو الهادي، ولا هو المهدي، بل هو الضال المضل، الدجال الأكبر — عليه لعنة الله — الذي يخرج قبل قيام الساعة، ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام عند باب اللُّـدّ، الذي يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعيث يمينا ويعيث شمالا، ويتبعه سبعون ألفا من يهود أصبهان، عليهم الطيلسان، ويبدأ مهمته من "الكوفة"، قال ابن مسعود رضي الله عنه وهو يخاطب الكوفيين: "إني لأعلم أول أهل أبيات يقرعهم الدجال، قالوا: من يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أنتم يا أهل الكوفة". (الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٧)

محاولة ملعونة ناجحة: (اعتداء القرامطة على الحجر الأسود):

وقد تمَّ تنفيذ هذه الخطة الملعونة على يد "القرامطة" من الشيعة والباطنين حيث اقتلعوا الحجر الأسود في أحداث شهر ذي الحجة ٣١٧هـ، وحملوه إلى البحرين، ثم نقلوه بعد ذلك إلى "الكوفة". حتى قيل: إنهم نصبوه مرة في بعض سواري مسجد الكوفة. وقد بقي هذا الحجر الأسود عندهم قرابة اثنتين وعشرين سنة إلى عام ٣٣٩هـ وردَّه بعد ذلك من الكوفة إلى مكانه في مكة المكرمة الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري رحمه الله شيخ نيسابور في عصره، وأحد العباد المجتهدين المتوفى سنة ٣٦٢هـ.

ومن أخبار هذه الحادثة الأليمة أن عدو الله ملك البحرين أبا طاهر سليمان بن أبي سعيد القرمطي الجنابي الزنديق — قبحه الله — (م ٣٣٩هـ) أغار بعسكره على مكة المكرمة يوم التروية سنة ٣١٧هـ، والناس محرمون إلى منى، فقتل الحجيج حول الكعبة وفي جوفها، وردم

زمزم. كما قتل غيرهم في سلك مكة وما حولها زهاء ثلاثين ألفا. وسلب كسوة الكعبة وجردها، وأخذ بابها وحليتها وقبة زمزم، وجميع ما كان فيها من آثار الخلفاء، والتي زينوا بها الكعبة، وصعد على عتبة الباب يصيح:

أنـــا بالله وبالله أنـــا   يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وضرب الحجر الأسود بدبوس، واقتلعه من موضعه وأخذه إلى بلده "هجر" ببحرين الأحساء حاليا، وطلع رجل منهم على البيت يقلع الميزاب، فسقط واندقت عنقه.

وقيل: إنه أراد أخذ المقام (مقام إبراهيم) فلم يظفر به، لأن بعض سدنة البيت غيبوه في بعض شعاب مكة، فتألم بفقده.

وهلك اللعين بالجدري في رمضان سنة ٣٣٩هـ، ثم ردوا بعده الحجر في ذي القعدة أو في ذي الحجة عامئذ، وأعيد في مكانه من البيت.

والقصة مشهورة معروفة في كتب التاريخ والفرق والأديان وكتب المحاضرات، فنكتفي منها بهذا القدر.

محاولة ملعونة ثانية: (اعتداء مصري على الحجر الأسود):

ذكر ابن الجوزي والفاسي وابن فهد وغيرهم في حوادث سنة ٤١٣هـ، وهذا سياق ابن فهد، قال: "فيها، أو في التي بعدها في يوم الجمعة، يوم النفر الأول، ولم يكن رجع الناس بعد من منى، عمد بعض الملحدة المصريين الذين استغواهم الحاكم العبيدي وأفسد دياناتهم، وكان أحمر اللون أشقر الشعر تام القامة جسيما طويلا، وبإحدى يديه سيف مسلول، وبالأخرى دبوس، بعد ما فرغ الإمام من الصلاة، فقصد الحجر الأسود كأنه يستلمه، فضرب وجه الحجر الأسود ثلاث ضربات متوالية بالدبوس، فتنخش وجه الحجر في وسطه، وتقشّر من تلك الضربات، وتساقطت منه ثلاث شظايا، واحدة فوق الأخرى، فكأنه ثقب ثلاثة ثقوب، ما يُدخل الأنملة في كل ثقب، وتساقطت منه شظايا مثل الأظافر، وصارت فيه شقوق يمينا وشمالا، وخرج مكسره أسمر، يضرب إلى صفرة، محببا مثل الخشخاش، وقال: إلى متى يعبد الحجر الأسود؟ لا محمد ولا علي يمنعني عما أفعله، فإني أريد اليوم أهدم هذا البيت وأرفعه.

فاتقاه أكثر الناس الحاضرين، وخافوه، وتراجعوا عنه، وكاد أن يفلت.

وكان على باب المسجد عشرة من الفرسان على أن ينصروه، فاحتسب رجل من أهل اليمن، أو من أهل مكة أو غيرهما، وثار به، فوجأه بخنجر، واحتوشه الناس فقتلوه، ثم تكاثروا عليه فقطعوه وأحرقوه بالنار.

وقتل جماعة ممن اتهم بمصاحبته ومعاونته على ذلك المنكر، وأحرقوهم بالنار. وكان الظاهر منهم أكثر من عشرين غير ما اختفى منهم، فثارت به الفتنة، واختبط الوفد، وألحّ الناس في ذلك على المغاربة والمصريين بالسلب والنهب، وعلى غيرهم في طريق منى إلى البلد.

ثم ركب أبو الفتوح أمير مكة فأطفأ الفتنة وردّهم عن المصريين.

فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل، فقالوا: نحن مائة رجل، فضربت أعناق هؤلاء الأربعة.

وأقام الحجر الأسود على ذلك يومين.

ثم إن بعض بني شيبة جمعوا ما وجدوا مما سقط منه، وعجنوه بالمسك واللك، وحشيت الشقوق، وطليت بطلاء من ذلك، فهو بيّن لمن تأمله، وهو على حاله اليوم. [المنتظم لابن الجوزي ٨/٨-٩، العقد الثمين للفاسي ٤/٧٩، شفاء الغرام له أيضا ٢/٢٢٤، اتحاف الورى لابن فهد ٢/٤٤٨-٤٥٠، البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٢-١٤، اخبار الكرام للأسدي ص ٣٨-٤٠)

قلت: أمير مكة أبو الفتوح، هو: الحسن بن أبي محمد جعفر، خلع طاعة العبيديين، وخطب لنفسه واستمر إلى أن توفي في عام ٤٣٠هـ [جداول أمراء مكة وحكامها ص ١٨].

وإن هذه الحادثة الأليمة خطة شيعية مدروسة بغاية الإتقان لهدم الكعبة واقتلاع الحجر الأسود من مكانه.

محاولة شيعية ثالثة: (كسر الحجر الأسود):

وجاء في كتاب منائح الكرام أنه "في عشر التسعين، وتسعة مائة جاء رجل أعمى بدبوس في يديه، فضرب الحجر الأسود، وكان الأمير ناصر جاوش حاضرا، فوجأ ذلك الأعمى بالخنجر، فقتله فأراد العجم المجاورون بمكة أن يقتادوا منه، وزعموا أن ذلك العجمي شريف، فحال بينه وبينهم القاضي حسين المالكي ومنعهم". (تاريخ الكعبة لباسلامة ص ١٥٧)

محاولة شيعية رابعة: (تدنيس الكعبة والحجر الأسود بعذرة):

ذكر الشيخ حسين عبد الله باسلامة أنه في عام ١٠٨٧هـ في يوم الخميس ٨/شوال أصبح الناس، فإذا الكعبة المشرفة ملطخة بعذرة، أو بما يشبه العذرة من جميع جوانبها، وكذلك الحجر الأسود والركن اليماني. (تاريخ الكعبة المشرفة ص ٣٨٠)

هذا، وإن لم يُر فاعله، إلاّ أنه أشبه بفعل الشيعة ومن دان دينهم، فإنهم يقومون بإجراء أعمال ضد كبرياء الكعبة وزمزم، لأن الحجاج يزيدون يوما فيوما، وتعظيمهم وتوقيرهم للكعبة المعظمة يزداد، وهذا يغيظ هذه الفئات الحاقدة.

محاولة شيعية خامسة: (النهب والسرقة واقتلاع الحجر الأسود):

ومن الحوادث الأليمة التي جرت على الحجر الأسود في هذه الأيام الأخيرة وفي العهد السعودي بالذات ما ذكره العلامة حسين عبد الله باسلامة في كتابه، قال: "ومما هو جديد بالذكر ما وقع في عصرنا الحاضر في آخر شهر محرم سنة ١٣٥١هـ، وذلك أنه جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان فاقتلع قطعة من الحجر الأسود، وسرق قطعة من ستار الكعبة، وقطعة من فضة من مدرج الكعبة الذي هو بين بئر زمزم وباب بني شيبة، فشعر به حرس المسجد الحرام،

فاعتقلوه، ثم أعدم عقوبة له، كما أعدم من تجرأ أقبله على الحجر الأسود بقلع أو تكسير أو سرقة، حيث أصبح حكم الإعدام على أمثال هؤلاء سنة متبعة.

ثم لما كان يوم ٢٨/من ربيع الثاني من ذلك العام حضر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود -رحمه الله- وغيره من المسئولين والمهندسين وعمل مركب كيماوي مضافا إليه المسك والعنبر وتم تركيب تلك القطعة التي اقتلعها ذلك الفارسي التعيس". (تاريخ الكعبة المشرفة ص١٥٨)

(ب) مخططات لهدم المسجد الحرام والمسجد النبوي:

يزعم الشيعة من خلال معتقداتهم الباطلة وبناء على النصوص الكامنة في كتبهم بأن منتظرهم سيقوم بهدم المسجدين الشريفين، ويتسترون بدعوى أنه سيردهما إلى أساسهما. يقول نصهم: "إن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وآله إلى أساسه". (بحار الأنوار للمجلسي ٥٢/٣٣٨، كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٨٢)

يقول آيتهم الملا محمد باقر الصدر: "سيقوم بتقليص حجم المسجد الحرام وإرجاعه على أسسه... وبذلك لا تبقى ربع المسافة التي عليها المسجد في العصر الحاضر، وخاصة بعد التوسعات الضخمة التي أدخلت عليه أخيرا". (تاريخ ما بعد الظهور للصدر ص٨٢٨)

قلت: كيف لو رأى ضيق الصدر هذا تلك التوسعات الضخمة التي قامت بها حكومة المملكة العربية السعودية -حرسها الله- منذ عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-.

ثم يشير ضيق الصدر إلى أنه -المنتظر- يحاول تقليص عدد الطائفين مراعاة لحجم البيت آنذاك. يقول: "منع -أي المنتظر- الطواف المستحب... فتعطى القدمة لصاحب الفريضة، وبذلك يقل عدد الطائفين بالبيت إلى حد كبير". (تاريخ ما بعد الظهور ص٨٢٩)

قلت: إنهم يهدفون إلى تقليص حجم الحرمين بسبب أنهم لا يرون على الإسلام سوى طائفتهم المارقة، وأن غيرهم أخبث وأكفر من اليهود، فهم سيمنعون سائر المسلمين من دخول الحرمين بحكم أنهم كفار في اعتقادهم. فما يبقى بعد ذلك من أرض الحرمين هو كاف لطائفتهم، لأنهم لا يمثلون سوى قلة قليلة من المسلمين في إحصائيات العالم. (الألفين ص٨٣)

أو أنهم يريدون بهدم الحرمين صرف الناس إلى "كربلا" التي هي أفضل عند قدمائهم ومعاصريهم من بيت الله الحرام (يراجع: بحار الأنوار للمجلسي ١٠١/١٠٩، كامل الزيارات لابن قلويه ص٢٧٠، الأرض والتربة الحسينية لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص٥٦-٦٥، أحكام الشيعة للحائري الميرزا حسين ٣٢/١، تاريخ كربلا للدكتور محمد جواد طعمة ص١١٥ و١٦٦، مقالة الشيعة لآية الله محمد الشيرازي ص٨).

وذلك لأن هناك قبر الحسين – رضي الله عنه – حسب زعمهم، وإن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة. (وسائل الشيعة للحر العاملي ٣٤٨/١٠، كامل الزيارات لابن قولويه ص١٦١، تهذيب الأحكام للطوسي ١٦/٢، ثواب الأعمال لابن بابويه القمي ص٥٢، فروع الكافي ٣٢٤/١) بل ومائة حجة وعمرة كما في روايات أخرى.

فإذا كانت هذه أهدافهم من هدم الكعبة وتقليص حجمها، فما بالهم يموجون ويثورون ويقومون بالمظاهرات إذا تم تنظيم الحج والحجيج من قبل حكومة المملكة العربية السعودية؟

(ج) خطة قتل الحجاج الآمنين بين الصفا والمروة:

يقول النص: "كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة". (بحار الأنوار للمجلسي ٤٠/٥٣، وعزاه إلى الاختصاص للمفيد)

ولا شك أن تحديد موضع القتل العام بالمسجد الحرام وبين الصفا والمروة يدل دلالة أكيدة واضحة على أن المقتولين هم المسلمون، بل حجاج بيت الله الحرام الآمنون، وإن شيعة اليوم به يحلمون وله يخططون.

(د) خطة قطع أيدي وأرجل المشرفين على الحرم:

يقول النص: "كيف بكم – يخاطب النص الحجبة على الكعبة – لو قد قطعت أيديكم وأرجلكم وعلقت في الكعبة، ثم يقال لكم: نادوا: نحن سراق الكعبة". (الغيبة للنعماني ص١٥٦)

ونص آخر يقول: "إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام... وقطع أيدي بني شيبة، وعلقها بالكعبة، وكتب عليها: هؤلاء سراق الكعبة". (الارشاد للمفيد ص٤١١، والغيبة للطوسي ص٢٨٢)

ونص ثالث يقول: "يجرد – الفاعل هو المهدي المزعوم – السيف على عاتقه ثمانية أشهر، يقتل هرجا، فأول ما يبدأ ببني شيبة، فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه: هؤلاء سراق الله. ثم يتناول قريشا، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف". (أيضا الغيبة للطوسي ص٢٠٩) ولقتل قريش قتلا جماعيا تفاصيل في كتبهم عند ظهور هذا المزعوم.

(ه) النداء إلى تدويل الحرمين الشريفين:

منذ أن تأسست حكومة المملكة العربية السعودية بيد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود – رحمه الله – قامت دعوات وأحزاب وجمعيات وهيئات تنادي بتحرير الحرمين من أيدي القائمين والمشرفين على هذه الحكومة. وكانت هذه الصيحات تنطلق أولا من المقلدة المبتدعين من أهل الهند، ومن وقع في أحابيلهم من علماء وسادات وزعماء الدول المسلمة الأخرى. وكان على رأسهم ممن قام بمعارضة رجال التوحيد الأخوان المعروفان بـ "علي برادران" قبل مغادرة الإنجليز من الهند. ثم تولى هذه الزعامة البريلوية والديوبندية من الأحناف.

ومنذ قامت دولة الخميني في "إيران" وتولت ولاية الفقيه بحكمها الجديد تولت هذه الزعامة وترأستها في ثوبها الجديد، وجعلت تبث أجنحة مكرها ودعواتها بالتنادي بتدويل الحرمين الشريفين، وبإقامة أنواع من الأعمال العدوانية خلاف حكومة المملكة العربية السعودية، وبتنظيم مظاهرات في أفضل وأقدس وأطهر بقعة من الأرض —في مكة المكرمة، وفي أيام الحج وازدحام الحجيج، ما يخالف قدسية البلد الحرام وحرمة الشهر الحرام، ويعكر صفو الحج وأمنه.

وكم نرى منذ ثلاثين عاما من الأعمال العدوانية الشيعية والخمينية وبخاصة عام ١٤٠٧هـ حيث قام الحجاج الإيرانيون بإيراء نار الفتنة والفوضى والفساد وتنظيم المظاهرات في مكة المكرمة.

وكم قد قرأنا في الصحف والمجلات والكتب، واستمعنا في الإذاعات إلى بيان حاخامات الشيعة وآياتهم عن الحرمين الشريفين والبلاد المقدسة ما يظهر خبث نواياهم، ولعل ما تخفي صدورهم أكبر.

وإن التنادي بتدويل الحرمين الشريفين مرفوض شرعا وعقلا، بل نرى أن الفقه الشيعي والفقه الجعفري يستنكر هذا التنادي، ولكنه ليس هذا موضع بسط أدلته، فنتركه إلى وقت آخر.

وما تسلل وحوش الحوشيين في حدود المملكة العربية السعودية من جهة الجنوب في الوقت الحاضر إلا تنفيذ لتلك المخططات التي ذكرناها من قبل بمؤامرة حكومة الآيات، ومحاولة لاستحلال حرمة بيت الله الحرام، ومعاونة ومعاضدة لآخر الأعمال التي تقوم بها القوات الصهيونية والصليبية من هدم وتخريب لبيت الله الحرام والكعبة المشرفة ونهب كنزها في آخر الزمان —فنعوذ بالله من شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اجتماع جيوش الكفر والإلحاد على استحلال حرمة البيت وهدم الكعبة الشريفة:

إن لقرب القيامة علامات كثيرة وأشراطا جسيمة كما أخبر الصادق المصدوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أكبر أشراطها تخريب الكعبة المشرفة بحيث لا تعمر بعده أبدا، وأما قبل قرب القيامة فلا يتمكن من هدمها وتخريبها من أرادها بسوء.

ولكن كيف تنفذ هذه الخطة الخبيثة؟

إن هذه الخطة الخبيثة يتم تنفيذها باجتماع جيوش الكفر والإلحاد من الشيعة وصهاينة اليهود وصليبية النصارى الظالمين، وقد ورد في ذلك أحاديث وآثار تدل بقرائنها على أنهم هم أولئك الخبثاء الحاقدون.

روى أحمد وأبو داود الطيالسي وابن حبان والحاكم بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة —رضي الله عنه— عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يبايع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب. ثم تأتي الحبشة،

فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا، وهم الذين يستخرجون كنزه. (مسند الإمام أحمد ٢/٢٩١، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥١، منحة المعبود ترتيب مسند أبي داود الطيالسي ٢/٢١٦، الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ٨/٢١٦، المستدرك ٤/٤٥٢) إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة. (متفق عليه وأحمد)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع، يضرب عليها بمسحاته ومعوله". (مسند أحمد ٥/٣٧١)

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري: "كأني به أفجح يقلعها حجرا حجرا". (البخاري مع الفتح ٣/٤٦٠)

ولذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته وقال: "اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة". (أحمد ٥/٣٧١، أبو داود ٢/٢١٢، عبد الرزاق ٥/١٣٧، المستدرك ٤/٣٥٣) [قال الشيخ شعيب: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني حسن] وغيرها من الروايات الكثيرة المفيدة بذلك.

وفي حديث علي رضي الله عنه قال: "استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة أصعل أصمع أحمش الساقين قاعد عليها وهي تهدم". (عبد الرزاق ٥/١٣٧، غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣٤٥، أخبار مكة للأزرقي ١/٢٧٦)

وروى الأزرقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: اخرجوا يا أهل مكة قبل إحدى الصيلمين. قيل: وما الصيلمان؟ قال: ريح سوداء تحشر الذرة والجُعل، قيل: فما الأخرى؟ قال: يجيش البحر بمن فيه من السودان، ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا إلى الكعبة فيخربونها". (أخبار مكة للأزرقي ٢/٢٧٥)

فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا ما سيكون في آخر الزمان، وأما الآن فنحن نستبشر بدلالة حادثة الفيل إزاء ما نعلمه من أطماع فاجرة ماكرة حول الأماكن المقدسة من الشيعة والصليبيين والصهاينة الملعونين على الدوام، فإن الله قد حمى بيته من أهل الكتاب وسدنته مشركون، وسيحفظه إن شاء الله من كيد الكافرين ومكر الماكرين، إلا إذا آذن لهدمه وخرابه بحسب علمه وتقديره قبل يوم القيامة في آخر الزمان.

إفشال المخططات الخبيثة حول الحرم المكي:

روى أحمد وابن ماجه وعمر بن شبة (في كتاب مكة) بسند حسن عن عياش بن أبي ربيعة المخزومي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة يعني: - الكعبة — حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا". (المسند ٤/٣٤٧، الفتح الرباني ٢٣/٢٤٤، فتح الباري ٣/٤٤٩) قال الألباني: ضعيف.

وإن مما أكرم الله به المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها أن رجعت إلى شريعة الله فحكمتها في شئون دولتها بفضل منه، ثم بجهود بانيها ومؤسسها الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود — رحمه الله — وأبنائه وخلفائه الغر الميامين، فرأى العالم أن الواهب الرزاق فتح على هذه البلاد بركات من السماء والأرض، وأمنت البلاد بعد الخوف في طولها وعرضها أمنا لا نظير له في العالم.

ولا يزال قادة المملكة العربية السعودية يزيدون تعظيما لهذا البيت ويسهرون على خدمة الحرمين الشريفين وأمنها، حتى بلغ الأمن والخدمات مبلغا عظيما لهج بذكرها الحجاج والعمار والزوار، هنا وهناك — والحمد لله على ذلك -.

وهذه الحقائق الناصعة تظهر لكل مسلم صدوق، وكل إنسان عاقل أن المخططات الدقيقة والنوايا الخبيثة الحاقدة، وفرية تدويل الحرمين الشريفين وتحريرهما التي يحيكها عصبة الصهاينة والصليبيين، ويرددها الشيعة والخمينيون وزمرة الآيات إن هي إلا عمل عدو حاقد لدود، وتعبير عن فكر مريض، ونية خبيثة وهدف خبيث يقرب الأمة المسلمة إلى الهلاك.

ولسد هذا العدوان السافر وحماية حرمة بيت الله الحرام ومكة المكرمة، وقدسية هذا البلد الأمين يجب على جميع المسلمين الغيورين ما يلي:

(أ) مواجهة كافة التحديات، وعلاج جميع الانحرافات الفكرية والعقدية والسلوكية التي تنشأ في المسلمين أو تستورد فيهم من غيرهم من أصحاب الأهواء والملل.

(ب) تعظيم مكة المكرمة والأشهر الحرم وشعائر الحج وإكرام الحجيج الآمنين المخلصين وتوفير سبيل ذلك لغيرهم من الإخوة المؤمنين.

(ج) تبصير المسلمين جميعا بالمخططات التي تستهدف تمزيق شملهم وإفساد عقيدتهم في تعظيم الحرم المكي وتقديس الحرمين الشريفين، والكشف عن أئمة الضلال الذين يتعاونون مع أعداء الأمة على تنفيذ مخططاتهم.

(د) قيام علماء الإسلام ودعاته بعقد مؤتمرات وندوات لبث الوعي الديني وإثارة الحمية الدينية نحو تعظيم الحرمين، وبتأليف كتب ورسائل ونشر مقالات، وإلقاء محاضرات تتناول حرمة الحرمين الشريفين.

(ه) إعداد مادة دراسية تعني بقدسية الحرمين الشريفين، تتوخى تربية النشأ على التوقير للأماكن المقدسة في البلدين الكريمين، وتدريس هذه المادة في مدارس المسلمين على جميع المستويات.

(و) عقد المسابقات الثقافية بالجوائز المغرية الثمينة حول موضوع المسجد الحرام وتاريخه وأحكامه، والحرمين الشريفين، ما يشجع الطلبة والباحثين والعامة على الوقوف والاطلاع على عظمة الحرمين الشريفين.

(ز) تخصيص المنح والمكافآت لتشجيع الدراسات والبحوث، ونشر الإنجازات العلمية في حقل الكشف عن المخططات وأصحابها قديما وحديثا وفي مستقبل من الزمان.

ولما أن ولاية البلد ورعاية الحرم وسدانة البيت وتنظيم الحج أمر منوط بحكومة المملكة العربية السعودية شرعا وعقلا وقانونا في هذه الأيام، وتوفير الأمن والراحة من مسئولياتها الأولية والعظيمة، وهما موفران بحمد الله، بل وفي كل يوم في ازدياد، فعلى حكومة المملكة العربية السعودية:

(١) إخماد سائر الفتن والثورات، ومنع جميع المظاهرات والمسيرات والهتافات السياسية والعدوانية منعا باتا في مكة المكرمة والحرمين الشريفين.

(٢) اتخاذ كافة الوسائل المشروعة والعمل بموجبها للحفاظ على قدسية الحرمين الشريفين، وتشريد كافة الجموع التي تعبث بقدسيتها ولو بالقوة والإكراه.

(٣) المحافظة على بيئة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعدم التغيير في معالمهما الطبيعية التي خلقها الله عليها بقدر الإمكان.

(٤) المحافظة على التراث الإسلامي والروح الإسلامي والجو الإيماني الموجود في هاتين المدينتين خاصة، وفي كافة أرجاء المملكة العربية السعودية عامة.

(٥) إقامة حد فاصل وطريق دائرى بين الحل والحرم لا يقل عرضه عن (١٥٠) مترا، منها (١٠٠) متر إلى جانب الحل، و(٥٠) مترا إلى جانب الحرم، مع إقامة مخافر الشرطة والحرس، ونقطة التفتيش فيما بينهما على الشوارع الرئيسية الداخلة إلى الحرم.

ثم إن مسألة قدسية الحرمين الشريفين وأمنهما مسئلة إسلامية وإيمانية فعلى جميع علماء الإسلام ودعاته التضامن مع المملكة العربية السعودية في موقفها الشرعي والأمني تجاه كل ما من شأنه الإضرار بحرمة الأماكن المقدسة وسلامة الحجاج والعمار والزوار والمواطنين.

هذا، وإن هذه الكليمات الأخيرة في دفع المخططات الخبيثة حول الحرم المكي وطرق تدميرها ليس يحسن بمثلي، إنه ليس يحسن كلام كبير من رجل صغير، إن أهل مكة أدرى بشعابها، وإن القائمين على حكومة المملكة العربية السعودية وسدانة هذا البيت أصحاب تجارب وخبرات، ولكن لولا مسئلة التضامن وحديث: "الدين النصيحة ..." لكنت ساكتا منصتا.

وصلى الله وسلم على نبينا ومولانا محمد وآله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

***

المتنبي
مالئ الدّنيا وشاغل النّاس

(٤)

وسيم المحمدي / المدينة المنورة

٣- وصف الحالات النفسية:

لقد طمع المتنبي في الجاه والمنصب أيما طمع، ورأى لنفسه من المكانة ما لم يره لأحد. ودعمه على ذلك اقتداره على الكلام، وطبعه الحاد، وعزمه الذي لا يركن إلى الدعة والسكون. فجعلته هذه الأشياء كثير المعايشة مع نفسه يحادثها وتحادثه، ومن ثم شاع في شعره الكثير من الحديث النفسي الذي يصف فيه مشاعره وأحاسيسه، خاصة تلك العلاقات التي تكون بينه وبين الناس؛ لأن الحرب النفسية بينه وبينهم كانت دائما مشتعلة الأوار.

وهذا يفسر لنا عدم تخلص قصائده من الحديث عن نفسه. فمهما كان الموضوع الذي ينظم من أجله الشعر لقد كانت نفسه القاسم المشترك في جلّ قصائده[1].

ومن النماذج التي صور فيها المتنبي حالاته النفسية قوله ــ وهو يفخر بشعره الذي يعتزّ به أيما اعتزاز ــ[2]:

وما الدَّهْرُ إلا مِن رُواةِ قصائدي ... إذا قلتُ شِعْراً أصبحَ الدَّهْرُ مُنْشِدا
فسارَ بهِ مَن لا يسيرُ مُشَمِّرا ... وغَنّى بهِ مَن لا يُغَنّي مُغَرِّدا
أَجزني إذا أُنْشِدْتَ شعرا فإنّما ... بشعري أتاكَ المادِحونَ مُرَدَّدا
ودَعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنّي ... أنا الصائحُ المَحكِيُّ والآخَرُ الصَّدى

وكذا قوله[3]:

وما قلتُ من شِعْرٍ تكادُ بُيوتُهُ ... إذا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ من نورِها الحِبْرُ
كأنَّ المَعاني في فصاحةِ لَفْظِها ... نُجومُ الثُّرَيّا أو خَلائِقُكَ الزُّهْرُ

وقوله[4]:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صممُ

---

(١) ينظر: الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي ص١٠١-١٠٢.
(٢) ديوان المتنبي ص٣٦١.
(٣) ديوان المتنبي ص١٧٧.
(٤) ديوان المتنبي ص٣٢٣.

أنامُ مِلْءَ جفوني عن شوارِدِها ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويختصِمُ

ولكن هذه الحالات التي يعبر عنها الشاعر في الأبيات الماضية حالات نفسية سعيدة، يتمتع بها الشاعر، وما أقلها عند المتنبي! فغالبا ما نراه يصور لنا حالاته النفسية الكئيبة المتشائمة، وما أكثرها عنده!، ومنه قوله:[١]:

رَماني الدَّهْرُ بالأَرْزاءِ حتّى فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ
فَصِرْتُ إذا أَصابَتْني سِهامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصالُ على النِّصالِ
وهانَ فما أُبالي بالرّزايا لأنّي ما انتفعتُ بأن أُبالي

فيصور لنا أنه كيف صار غرضا للزمن، ومرمى للحوادث والأيام.

ومن وصف الحالات النفسية الكئيبة وصفه الحمى ــ وهو من روائع شعره ــ بقوله:[٢]:

وزائرتي كأن بِها حياءً فليس تزور إلا في الظلام
بَذَلْتُ لَها المطارفَ والحَشايا فعافَتْها وباتت في عظامي
يَضيقُ الجِلْدُ عن نفسي وعنها فتوسِعُهُ بأنواع السّقام
إذا ما فارَقَتْني غَسَّلَتْني كأنّا عاكِفان على حرام
كأن الصبح يطرُدُها فتجري مَدامِعُها بأربعة سِجام
أراقبُ وقْتَها من غير شَوْقٍ مُراقبةَ المَشوقِ المُسْتَهام
ويصدُقُ وعدها والصّدق شرّ إذا ألقاك في الكرب العظام
أبِنْتَ الدّهر عندي كلُّ بنتٍ فكيف وصَلْتِ أنت من الزحام؟
جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فيه مكانٌ للسيوف ولا السّهام

وقد جعل المتنبي الحمى شخصا محسوسا، يزوره على رغم أنفه كل ليلة. ولا شك في أنه أبدع في التصوير والتشخيص، وتحويل المعنى المستور إلى المادة المحسوسة.

٤- وصف المعاني العقلية:

من أنواع الوصف عند المتنبي وصف المعاني العقلية، فقد أدلى بدلوه في هذا المجال، وحفل شعره بكثير من أمثلة هذا النوع من الصور البيانية، ومن ذلك قوله في وصف طول الليل[٣]:

أعَزْمي طالَ هذا اللّيْلُ فانْظُر أَمِنْكَ الصُّبحُ يَفْرَقُ أن يَؤوبا

---

(١) ديوان المتنبي ص٢٥٤.
(٢) ديوان المتنبي ص٤٧٧.
(٣) ديوان المتنبي ص١٨٠.

كأنّ الفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزارٌ يُراعي من دُجُنّتِهِ رقيبا
كأنّ نُجومَهُ حَلْيٌ عليهِ وقد حُذِيَتْ قوائِمُهُ الجَبوبا
كأنّ الجوَّ قاسى ما أُقاسي فصارَ سَوادُهُ فيهِ شُحوبا
كأنّ دُجاهُ يَجذِبُها سُهادي فليْسَ تَغيبُ إلا أن يَغيبا
أُقَلِّبُ فيهِ أَجْفاني كأنّي أَعُدُّ بِهِ على الدّهرِ الذّنوبا

فالليل هو الليل لا يطول ولا يقصر عن زمنه المحدد في كل ليلة، وإنما هو الشعور النفسي الذي يخيل بهذا أو بذاك لملابسات نفسية يمر بها مستطيل الليل ومستقصره. وقد أظهر لنا المتنبي هنا مقدرته في الوصف بتحويل المعاني العقلية إلى أمور محسوسة عن طريقه بالتخييل [1].

الغزل:

لقد تبرّأ المتنبي -كما سلف- من أن يكون عاشقا للغواني، حيث قال [2]:

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ أكُلُّ فصيحٍ قال شعرا مُتَيَّمُ

وقال [3]:

وللخَود مِنّي ساعةٌ ثُمّ بيننا فلاةٌ إلى غيرِ اللقاءِ تُجابُ
وما العِشقُ إلاّ غِرّةٌ وطماعةٌ عَرَضٌ قلبٌ نفسهُ فيُصابُ
وغيرُ فؤادي للغواني رميَّةٌ وغيرُ بناني للزُّجاجِ رِكابُ
تركنا لأطرافِ القنا كلَّ شَهوةٍ فليس لنا إلا بِهِنَّ لِعابُ
نُصَرِّفُهُ للطعنِ فوقَ حوادرٍ قد انْقَصَفَت فيهنّ منه كِعابُ
أعَزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابِحٍ وخيرُ جليسٍ في الزّمانِ كتابُ

ولم يكتف بتبرئة نفسه من أن يكون من عداد العاشقين فحسب، بل يضيف إلى ذلك تهكمه بمن يعشقون ويحبون، فيقول [4]:

مِمّا أضرّ بأهلِ العشقِ أنّهم هَوَوا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عُيونُهُمُ دمعا وأنفُسُهم في إثرِ كلِّ قبيحٍ وجهُهُ حسَنُ

ومع هذا، فإن للمتنبي نماذج جميلة من شعره قد قالها متغزلا، فمنها قوله [5]:

---

(١) ينظر: الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي ص١١٤.
(٢) ديوان المتنبي ص٢٩٠.
(٣) ديوان المتنبي ص٤٧٩.
(٤) ديوان المتنبي ص٤٦٨.
(٥) ديوان المتنبي ص١٠٧.

سفَرَت وبَرقَعَها الفِراقُ بِصُفرَةٍ ستَرَت مَحاجِرَها ولَم تَكُ بُرقُعا
فكأنّها والدمع يقطُرُ فوقها ذهبٌ بِسِمْطَيْ لُؤلُؤٍ قد رُصّعا
كشفت ثلاث ذوائِب من شعرها في ليلة فأَرَت ليالِيَ أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرَتنِيَ القمرين في وقت معا

ومن عيون الغزل عنده[1]:

لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقي وللحبِّ ما لَم يبقَ منّي وما بقي
وما كنتُ مِمّن يدخلُ العشقُ قلبَهُ ولكنّ مَن يبصرْ جفونكِ يعشقِ
وبين الرّضا والسُّخطِ والقربِ والنّوى مَجالٌ لدمعِ المقلةِ المُترقرِقِ
وأحلى الهوى ماشكّ في الوصلِ ربُّهُ وفي الهجرِ فهوَ الدهرَ يرجو ويتّقي
وما كلُّ مَن يهوى يَعفُّ إذا خلا عفافي ويُرضي الحِبَّ والخيلُ تلتقي
إذا ما لبست الدهر مستمتعا به تخرّقتَ والملبوس لم يتخرّقِ

الرثــاء:

إن شعر الرثاء عند المتنبي له ثلاثة جوانب:

الأول: وهو رثاء من يَمُت إليه بصلة، ولم يرث من أقاربه سوى جدّته في قصيدته التي مطلعها[2]:

ألا لا أرى الأحداثَ حَمْداً ولا ذمّا فَما بَطشُها جَهْلا ولا كَفُّها حِلما

والثاني: هو رثاء أشخاص لا يمتون إليه بصلة قرابة، وإنما كان يرتبط ببعضهم بصلة الصداقة، كرثائه لصديقه أبي شجاع، الذي جمعته به صداقة حميمة عند إقامته بمصر، فقال في رثائه[3]:

الحُزْنُ يُقلِقُ والتَّجَمُّلُ يَردَعُ والدّمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ
يتنازعان دُموعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ هذا يَجيءُ بِها وهذا يَرجِعُ
النّومُ بعد أبي شُجاعٍ نافِرٌ واللّيلُ مُعْيٍ والكواكبُ ظُلَّعُ
إنّي لأَجبُنُ من فِراقِ أَحِبّتي وتُحِسُّ نفسِي بالحِمامِ فأَشْجَعُ

والثالث: هو رثاء أشخاص لا يمتون إليه بصلة قرابة ــ أيضا ــ، ولكنهم كانت صلتهم بممدوحيه، كرثائه لأم سيف الدولة، فقد قال في رثائها مبينا أثر وفاتها في نفسه[4]:

---

(١) ديوان المتنبي ص٣٣٥.
(٢) ديوان المتنبي ص١٥٩.
(٣) ديوان المتنبي ص٥٠٦.
(٤) ديوان المتنبي ص٢٥٣.

نُعِدُّ المشرفيّةَ والعوالي ... وتقتلنا المنونُ بلا قتالِ
رَماني الدَّهرُ بالأَرْزاءِ حتّى ... فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ
فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصالُ على النِّصالِ
وهانَ فما أُبالي بالرّزايا ... لأنّي ما انتفعتُ بأن أُبالي

إلى أن قال:

ولو كان النساء كمن فقدنا ... لفُضّلت النساءُ على الرّجالِ
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخرٌ للهلالِ
وأفجعُ من فقدنا من وجدنا ... قبيلَ الفقدِ مفقودَ المثالِ
يدفّن بعضنا بعضاً ويمشي ... أواخرنا على هام الأوالي
وكم عين مقبلة النّواحي ... كحيل بالجنادل والرّمالِ
ومغضٍ كان لا يُغضي لخَطبٍ ... وبالٍ كان يُفكِرُ في هزالِ

ومن رثائه رثاؤه لخولة أخت سيف الدولة، بقصيدة مطلعها[1]:

يا أُختَ خَيرِ أَخٍ يا بنتَ خيرِ أبٍ ... كِنايةً بِهِما عن أشرَفِ النَّسَبِ

وفيها يقول[2]:

طوى الجزيرةَ حتّى جاءني خَبَرٌ ... فَزِعْتُ فيهِ بآمالي إلى الكذِبِ
حتّى إذا لَم يَدَع لي صِدقُهُ أملا ... شَرِقْتُ بالدّمعِ حتّى كادَ يَشرَقُ بي
تَعَثَّرَتْ بهِ في الأفواهِ أَلسُنُها ... والبُردُ في الطُّرُقِ والأقلامُ في الكُتُبِ

الشكوى والعتاب:

الشكوى والعتاب مما أكثر منه المتنبي في شعره، وقد جاء ذلك في بعض المقطوعات الشعرية، وبعض الأبيات التي بثها في قصائده، وله في ذلك قصيدة جعلها خالصة لهذا الغرض، وهي قصيدته الميمية التي قالها في شكوى المرض والغربة والحنين وسوء الحال، والتي مطلعها[3]:

ملومكما يجلّ عن الملام ... ووقع فعاله فوق الكلام

وغالبا ما تكون شكوى المتنبي ضمن التمهيد لغرض المدح، وقد تتصل بالنسب والفخر في بعض الأحيان، وأحايين قليلة جاءت مقدّمة للهجاء.

---

(١) ديوان المتنبي ص٤٢٢.
(٢) ديوان المتنبي ص٤٢٣.
(٣) ديوان المتنبي ص٤٧٥.

وشكواه نوعان: نوع يخصّه هو، ونوع يخصّ أمته وعصره.

وأهم ما يخصه شكوى الفقر والخيبة في شبابه، وشكوى المرض والغربة في أواخر كهولته في مصر، وأهم ما يخص أمته وعصره شكوى الانحطاط السياسي والأخلاقي، وقد ظهرت الشكوى في شعره قبل اتصاله بسيف الدولة، ثم خفقت في مدة إقامته عنده، ثم ظهرت من جديد بعد رحيله عنه، وما قاله المتنبي من شعر في الشكوى عند سيف الدولة يدخل في باب العتاب؛ لأنه من صديق إلى صديق.

ومن نماذج الشكوى والعتاب عنده قوله[1]:

واحَرَّ قلبــاهُ مِمّن قلبُـهُ شَبـِمُ	ومَن بِجِسْمـي وحالي عندهُ سَقَمُ
مالي أُكَتِّمُ حُبّا قد برى جسـدي	وتَدَّعي حُبَّ سيفِ الدولةِ الأُمَـمُ
إن كان يَجْمَعُنــا حُـبٌّ لِغُرَّتِهِ	فليـتَ أَنّا بقَـدرِ الحُبِّ نَقْتَسِـمُ
يا أعـدلَ النّاسِ إلاّ فـي مُعـامَلَتِي	فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
أُعيذُها نَظَـراتٍ مِنكَ صـادقَـةً	أن تَحْسَبَ الشّحمَ فيمَن شَحْمُهُ وَرَمُ
وما انتـفاعُ أخـي الدُّنيا بناظِـرِهِ	إذا استَوَتْ عنـدهُ الأنـوارُ والظُّلَمُ

الحكمة في شعر المتنبي:

المتنبي يصدق عليه أن يكون شاعر الحكمة؛ فلم يرد في شعر شاعر من الحكم والأمثال مثلما ورد في شعر المتنبي.

ولا زالت تلك الأبيات الحكيمة التي صاغها المتنبي تدور على ألسنة الناس، وخاصة على ألسنة الخطباء والعلماء والبلغاء، وتُعدُّ من أجمل وأروع ما ورد في شعر المتنبي.

وقد كثرت الحكمة في شعر المتنبي حتى لا تكاد تخلو منها قصيدة، وله أقوال كثيرة صائبة في الحياة والموت وأحداث الدهر، وقد أخرج بعض حكمه مخرج المثل المضروب، فسارت على ألسن الناس، واستشهدوا بها في المواقف والأحداث، ومن حكمه المشهورة:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكتـه	وإن أنتَ أكرمـتَ اللئيـمَ تَمَرّدا[2]
فوضع الندى في موضع السيف بالعلى	مضر كوضع السيف في موضع الندى[3]
وما قتل الأحرارَ كالعفـوِ عنهـمُ	ومـن لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا[4]

(١) ديوان المتنبي ص٣٢٢.
(٢) ديوان المتنبي ص٣٦١.
(٣) ديوان المتنبي ص٣٦١.
(٤) ديوان المتنبي ص٣٦١.

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت إيلامُ[١]
ذلّ مَن يغبط الذليلَ بعيشٍ ... رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ[٢]
لا يسلم الشرفُ الرفيعُ من الأذى ... حتى يراقَ على جوانبه الدَّمُ[٣]
ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ[٤]
أفاضل الناس أغراض لذا الزمن ... يخلو من الهم أخلاهم من الفطنِ[٥]
ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه ... تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ[٦]

وحكم المتنبي مستمدة من عدة مصادر، أهمها:

١. ثقافته الواسعة واطلاعه على أقوال الحكماء والفلاسفة من العرب، أو من الفرس واليونان، سواء من الكتب التي قرأها، أو من خلال المجالس التي حضرها.

٢. تجاربه الخاصة في الحياة، فقد عاش المتنبي في عصر مضطرب، وكانت حياته سلسلة من الصراعات والتجارب المرّة، والمواقف المريرة التي خاضها، ويقولون: "الحكمة الخالدة ما كانت من معاناة صادقة".

فحكمه صورة لنفسه ومثله في الحياة، ويتضح في حكمته تشاؤمه واضطرابه، وخيبة أمله في الحياة، وتمتاز هذه الحكمة بالصدق والعقلية، وهذا الذي جعل هذه الحكم تعلق في الذهن، وتتأثر بها النفوس.

وبالإيجاز فحكم المتنبي روح لأشعاره، وهي حكم عالية تمس الحياة الإنسانية؛ لأنها خلصت من تجارب صادقة، وقد بلغت من اهتمامها عنده حتى بدأ بعض قصائده بالحكم، وما تمضي أبيات ومعان إلا ويؤيدها بالحكم الصائبة، وما يأتي بقضية إلا ويعللها بتعاليل حكيمة، ويضعها في موضعها المناسب، والكلام في حكم المتنبي يطول، وقد أفردت فيها بعض المؤلفات.

وسيأتي كثير من هذه الحكم في آخر هذا المقال ضمن "مختارات من شعر المتنبي"، و"حِكم المتنبي التي جرت مجرى الأمثال".

(يتبع)

***

(١) ديوان المتنبي ص١٤٩.
(٢) ديوان المتنبي ص١٤٩.
(٣) ديوان المتنبي ص٢١٨.
(٤) ديوان المتنبي ص٢١٨.
(٥) ديوان المتنبي ص١٥٥.
(٦) ديوان المتنبي ص٤٦٩.

الأدب العربي

القصة القصيرة: نشأتها وتطورها

صهيب أحمد شكيل أحمد خان/نيو دلهي

تحظى القصة القصيرة باهتمام الناقدين والدارسين، نتيجة طبيعية لإقبال الكتاب الجدد عليها، ومحاولتهم الإبداع فيها. إذ لا يجد النقاد والدارسون بدّا من متابعة هذا النتاج الجديد، وتحليله وتقويمه ومحاولة وضعه في موقعه الصحيح من تاريخ هذا الفن في أدبنا الحديث، ولئن كنا نجد لهذه الظاهرة تبريرا معقولا، فإنا لا نلقى تفسيرا علميا وموضوعيا جادا لما نلاحظه من إهمال الدراسات والبحوث الأدبية والنقدية، للمراحل الفنية والتاريخية السابقة على هذه المرحلة التي تمر بها القصة القصيرة.

ولم تعد القضايا الاجتماعية وصراع التقاليد هي الموضوعات الوحيدة التي تدور حولها القصة، بل نجد أن القصاص بدأوا يتجاوزون تلك الموضوعات القريبة. ويتطرقون إلى مواقف إنسانية ذات طابع عام تخرج من إطارها الزمني والمكاني المحدود لتعبر عن تجربة إنسانية. علي أن هذا الجانب أو الاتجاه لا يخرج القصة عن واقعيتها، لأن واقعية القصة لا تنحصر في الموضوعات الاجتماعية أو المادية، بل قد تكون المواقف الإنسانية او اللحظات العابرة البسيطة تصور شريحة من الواقع بأبعادها الاجتماعية أو النفسية أو الفكرية، ولكن هذه الأبعاد الممتزجة بنزعة إنسانية تخرجها عن حدودها الزمانية والمكانية بل والذاتية.

كان للعرب في مختلف العصور فنونهم القصصية النابغة من بيئتهم والمصورة لحياتهم وعقائدهم ومغامراتهم وبطولاتهم. وكانت هذه الفنون متقدمة في أزمانها، وإن اختلف في النوع عن تراث الغرب باختلاف ظروف البيئة وأحوال الاجتماع. ولعل أقدم الفن القصصي عند العرب القصص الخرافية ، كما هي الحال في البداية لدى كل المجتمعات القديمة وكلمة "الخرافية" نفسها تضع أيدينا علي البداية العربية وما زال العرب يرددون هذه الكلمة في معارض مختلفة. وأصل ذلک أن رجلا عربيا من بني عذرة يسمي "خرافة" زعم أن الجن قد اختطفته ومكث عندهم مدة، ثم أعادوه إلي قومه وراح يحكي غرائب مشاهداته في بلاد الجن وعجائب ما وقع له معهم. فكان قومه يستمعون إليه، ويعجبون، ثم يقولون: " أحاديث خرافة" وصار هذا يطلق علي كل كلام غريب لا يصدق.

واتخذ كثير من شعراء العرب في العصر الجاهلي موضوع الجن والغيلان مجالا للتعبير عن الشجاعة والبطولة، ومنهم الشاعر تأبط شرا الذي يقص علينا في شعره كثيرا من وقائعه مع الغيلان ومما يؤسف له أن أحاديث خرافة نفسها ضاعت في متاهات الزمن كما ضاع كثير غيرها من القصص الغريبة الأولى. في ضوءها قال بعض المستشرقين مثل أرنست رينان وتابعهم فيه بعض المؤلفين العرب في العصر الحديث، قالوا إن العقل السامي يميل بطبيعته إلى التجريد ولا ينزع إلى التجسيم، وإن البيئة الصحراوية التي عاش فيها العرب لم تكن غنية بالمناظر المتنوعة، فلم تمنحهم المخيلة الخالقة المبتكرة التي تتوافر للغربيين.

ثم ظهرت أنماط فنية جديدة في القصص المصرية الحديثة منذ بداية الحرب العالمية تقريبا. وقد تنوعت هذه الأنماط بالتدريج تبعا للمادة التي يتناولها الكاتب وتبعا للفلسفة التي يريد لقصصه أن تتخذها. وما بين قصص هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم وآل تيمور والكتاب الناشئين تطورت القصة المحلية من صورة بسيطة ساذجة، كذلک تطورت القصة المحلية بين محمود تيمور الذي عقد في الصورة المحلية وصورها المستمدة من واقعها، بعد أن اجتاز فترة عاطفية ورمزية متأثرة بالمنفلوطي. أما المازني والعقاد فقد أكسيا القصة لونا تحليليا يوغل في التحليل النفسي. وأما الجيل الجامعي الجديد فقد تناول لوحة التصوير بالتعقيد الفني طولا وعرضا وعمقا في المدلول. ولا بد لنا أن نقف عند آخر فن منها قبل العصر الحديث وهو فن المقامة لأنه أشبه بموضوعنا وهو القصة القصيرة، ولأنه كان له شأن مهم في محاولة تطوير القصة العربية والعبور بها إلى القصة الحديثة.

واتفق كثير من النقاد على أن "زينب" لمحمد حسين هيكل هي فاتحة القصص الفني في الأدب المصري الحديث، على أنه تلزم الإشارة إلى تلك المحاولات الأولى خلال القرن التاسع عشر، وهي محاولات تطورت بالتدريج في اتجاهات شبه فنية في صورة المقامة، وقد تطور فن القصة بين جرجي زيدان وأبي حديد من مفهوم ذاتي إلى موضوعي، ومن تصوير ينهج نهج القصة الشعبية وألوانها المثيرة من مفاجآت وصراع يقوم على الشهرة التاريخية، وعلى المنهج التركيبي إلى قصة محبوكة تتطور تطورا داخليا وخارجيا، وتتبع عوامل المفاجأة والصراع من طبيعة الموضوع وتقوم على العرض التحليلي الذي يتجه اتجاها إنسانيا. والخلاصة أن القصة التاريخية قد اتخذت لها رسالة إنسانية عند أبي حديد.

وقد شهدت القصة القصيرة في فترة ماقبل ١٩٣٣تحول بعض كتابها نحو التحليل النفسي. وكان ذلك شاهدا على تطورهم ونضجهم ووعيهم الفني، فقد اتجه محمود تيمور في معظم القصص القصيرة التي كتبها في الطور الثاني من حياته الفنية نحو النفس الإنسانية. إذ نجد قصصه القصيرة التي بدأ يكتبها منذ أواخر عام ١٩٢٨ تعالج مشكلات الأفراد النفسية وتدور حول الغرائز ومدى تحكمها في سلوك الفرد وانفعالاته وتصرفاته، كغريزة حب البقاء والغريزة الجنسية، وغريزة حب الاستطلاع والسيطرة، والتملك والخضوع والمقاتلة. وهكذا تطور فن القصة القصيرة عند محمود طاهر لاشين في نفس المرحلة نحو الواقعية التحليلية كما بدا من القصص التي أخذ ينشرها في المجلات ابتداء من مايو ١٩٢٨.

والجدير بالذكر أن قصص المنفلوطي المترجمة والمولدة ومقالاته القصصية مهدت لتهيئة أذهان القراء لتقبل القصة القصيرة. وبذلك كونت القصة التعليمية ذات المغزى مقدمة حركة القصص القصيرة التي ألفت فيمابعد. وإنما يعود وجودها بصورتها الفنية إلى تأثير الآداب الأوربية المباشر، كما حملته البعثات الفنية العائدة من الخارج لاسيما من فرنسا. وبين قصص المنفلوطي وقصة محمد محمود تيمور فرق بين قصة تدعو لفكرة وتعتبر وسيلة للدعاية وأداة لتصوير الحياة تصويرا ذاتيا إنشائيا لا يدقق في النواحي الفنية، وبين قصة تسعى لتصوير الحياة فتبرز سلوك الناس وتصور الحوادث من وجهة نظر خاصة ولكن الهدف الأخلاقي فيها ثانوي، وإنما تؤثر على القارئ بتطورها الطبيعي الحيوي نحو وسط ونهاية وما فيها من فكرة وصراع وتحليل ومفاجآت، وذلك في نطاق وحدتها الفنية.

لقد كان الأدب دائما صورة معبرة للمجتمع، ومرآة تعكس المناخ الفكري والنفسي السائد في أرجائه، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة للتعرف على عدة جوانب القصة القصيرة، ومتابعة مظاهر الثبات والتغير في سماتها المختلفة نتيجة للمتغيرات الحضارية وعوامل التحديث والتجديد التي طرأت على المجتمع وأساليب الحياة. ولعل ماقدمناه قد كشفت لنا عن أبرز السمات الفكرية والاجتماعية والنفسية التي جاءت كنتاج لتلك المتغيرات.

***

ركن الطلاب

من أسباب الفساد و الفوضى

مستفيض الرحمن
السنة الثانية للفضيلة
بالجامعة السلفية، بنارس

يهيم العالم كله في طلب السلم و الأمن، ويتطلع إلى الراحة والحصول على الطمأنينة، ولكن أهالي العالم بأجمعهم لا ينجحون في مساعيهم ولا يفوزون في جهودهم ولا يقدرون على أن يبتسموا إلا للحظات معدودة وبعدها اليأس الدائب و القنوط الدائم، فما الذي دفعهم إلى هذه الحال؟ ولماذا يضطرون إلى السكوت في هذه المحن؟ وأي داعية وصلت بهم إلى هذه الحال المبكية؟ فأين النجاة بعدها؟ وأين الخلاص من هذه الأنواع من عواصف الظلم وقواصف الطغيان؟ إن الحلول لهذه المشكلات موفورة لدى علماء الإسلام المخلصين وهي تدعو إلى الاحتكام إلى الشريعة، لأن لكل مشكلة حلا و من كل مصيبة خلاصا ومخرجا.

فما هي النقائص التي وقعت في نظام العالم؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الواقع المؤلم؟ هناك نقص في تصور المساواة، وانعدام العدل، وذهاب الحياء، وغياب الأخوة، وفقدان المحبة و المودة بين الرجال و النساء، و البعد عن إيفاء العقود و العهود، و الإعراض عن قول الصدق، تشهد الأدلة من القرآن و السنة على كل ذلك:

أما تصور المساواة فقال جل وعلا: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات: ١٣] وقال النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم: "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى". (متفق عليه)

ففي الآية الكريمة والحديث الشريف جعل الله عزوجل والنبي المجتبى صلى الله عليه وسلم ميزان الخير والكرامة التقوى والخوف من الله عز وجل ومن بطشه، لكن قد خلت القلوب من تصورها، وانقلب الناس على أعقابهم عن تطبيق هذا التوجيه في حياتهم الدنيوية، ولذا يضطرب العالم كله في ظل الظلم والحقد بنقص هذه الصفة نفسها، ففقدت المساواة بين مختلف الفرق وشتى الأجناس، واتسعت الفجوة بين الناس وخدمهم، وذهبت المحبة والمودة من القلوب و الأفئدة، وامتلأت الأذهان بالأفكار المتكدرة.

و أما العدل فقد أشار إليه عز وجل في القرآن الكريم: (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) [النحل: ٩٠] وقال: (اعدلوا هو أقرب

للتقوى) [المائدة: ٨] لكن المحاكم الكبيرة والصغيرة لا تبالي بهذا العدل ولا تلتفت إليه التفاتا في العصر الراهن، كما لا تعتني الدول الكبيرة في العالم بغيرها.

إن العدل يعطي نظاما كاملا وينشيء مجتمعا صالحا، العدل طريق إلى الأمن والفلاح، والعدل مؤد إلى الطمأنينة والسكون، ولعدم الاعتناء بالعدل اختلت قوانين العالم وفسدت البلاد والمدن، فالواجب علينا أن نتحلى بالعدل في جميع شؤون حياتنا، ألا نذكر قصة المرأة التي سرقت في عهد النبي المختار صلى الله عليه وسلم حين شفع أسامة بن زيد إلى النبي لها فقال النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم: "أتشفع يا أسامة في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: "يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها". (البخاري: ٦٧٨٨، ومسلم: ١٦٨٨) فهذا من أوضح أمثلة العدل، وبه يصلح المجتمع ويذهب الفساد والاضطراب.

أما قلة الحياء أو فقدانه ففي ذلک يقول تعالى: (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) [الإسراء: ٣٢] وقال: (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [الأنعام: ١٥١] فجعل الزنا فاحشة في الآية الأولى ونهى عن التقرب إلى الفواحش بأجمعها عاما كي يتقي الإنسان الوقوع في المنكرات وفي ذلک أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم: كما روى ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: "إن مما أدرک الناس من كلام النبوة الأولى: "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت" (البخاري: ٦١٢٠) وكذلک روى عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر". (الحاكم ١/ ٢٢، وقال صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي) وما أحسن ما قاله الشاعر معبرا عن الحياء:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاء

فها هي أهمية الحياء ومنزلته في الحياة الدنيوية، ولكن الأسف أن العالم –اليوم– قد صار كجسد هامد وكنعش ساكن، لا يتحرک ولا يتكلم، لا يتحرک إلا بالفواحش، ولا يتكلم إلا بالكذب والسوء، فها هي عاقبة هجر الحياء في التعامل، وهي نتيجة تكاسل وتغافل عن الأخذ بهذه الصفة العليا، فشاعت الفواحش وعمت الخيانة، فضل الناس وأضلوا غيرهم.

وغياب الأخوة أيضا سبب من أسباب الفساد والفوضى، فنشأ التخاذل بين المجتمعات، وحدث التخاصم بين شتى الجنسيات، فبدأ الناس يهيمون من واد إلى واد، ولا يستطيع أحد أن يمسک بأيديهم إلى سبيل الرشاد، والله عز وجل يقول: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون). [الحجرات: ١٠]

وأما المحبة والمودة، فقد خلت القلوب منها، وامتلأت بالبغضاء والشحناء، فغطت الجرائم جهرا والنميمة سرا سماء العالم الصافية، وحفت صورة العالم بالمكاره والبهتان، وقد قال جل وعلا: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) [الحجرات: ١٢] ولكن أين اجتناب النواهي؟ وأين عاطفة القبول بالتوجيهات الصادرة عن جناب الله عز وجل وذات النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم-؟ ألا ترون أن الله تعالى أرشد عباده إلى الألفة والمحبة حيث قال: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) [آل عمران: ١٠٣] وقال أيضا: (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) [الأنفال: ٦٣] فبفقدان المحبة والمحبة، وقلة الموالاة والأخوة بين الناس خاصة بين المسلمين أخذت المنافرة والعداوة إلى القلوب سبيلا.

أما انعدام ايفاء العقود والعهود فهذا أيضا من الأسباب الجالبة لغضب الله تعالى، وقد أمر سبحانه وتعالى بالايفاء بالعقود فقال: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) [المائدة: ١] وهدّد سبحانه وتعالى الذين ينقضون العهود والمواثيق، فقال: (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) [الرعد: ٢٥].

وأما الإعراض عن القول الصدق وشيوع الكذب والافتراء فهذه مخالفة صارخة لنظام الإسلام والقانون الإلهي إذ قد أمر الرب تعالى بالصدق ومحبة الصادقين حين قال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) [التوبة: ١١٩] وقال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) [الأحزاب: ٧٠ — ٧١]، فعاقبة القول الصدق ونتيجة القول السديد صلاح الأعمال في الدنيا وغفران الذنوب في العقبى.

وصرح النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا". (البخاري مع الفتح ١٠/ ٦٠٩٤، ومسلم: ٢٦٠٧، واللفظ له)

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنبنا من جميع الشرور والفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يصلح أحوالنا وأحوال البشرية كلها، ويرشد الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح في الدين والدنيا والآخرة.

***